TAS_953.08/01

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان
كلية الآداب واللغات
شعبة: الآداب والحضارة
تخصص: حضارة عربية إسلامية

جامعة بوبكر بلقايد * تلمسان *
كلية الآداب و اللغات
مكتبة اللغة و الأدب العربي
سجل تحت رقم FacLLT
بتاريخ
الرقم 0713

مذكرة تخرج لنيل درجة الماستر في الآداب والحضارة

الموسومة بـ:

# التّفسير الاستشراقي لحضارة الإسلام عند رالف لينتون

إعداد الطالبة:
■ فاطمة الزهراء شراك

إشراف الدكتور:
عبد الحفيظ بورديم

السنة الجامعية : 1431-1432هـ / 2010-2011م

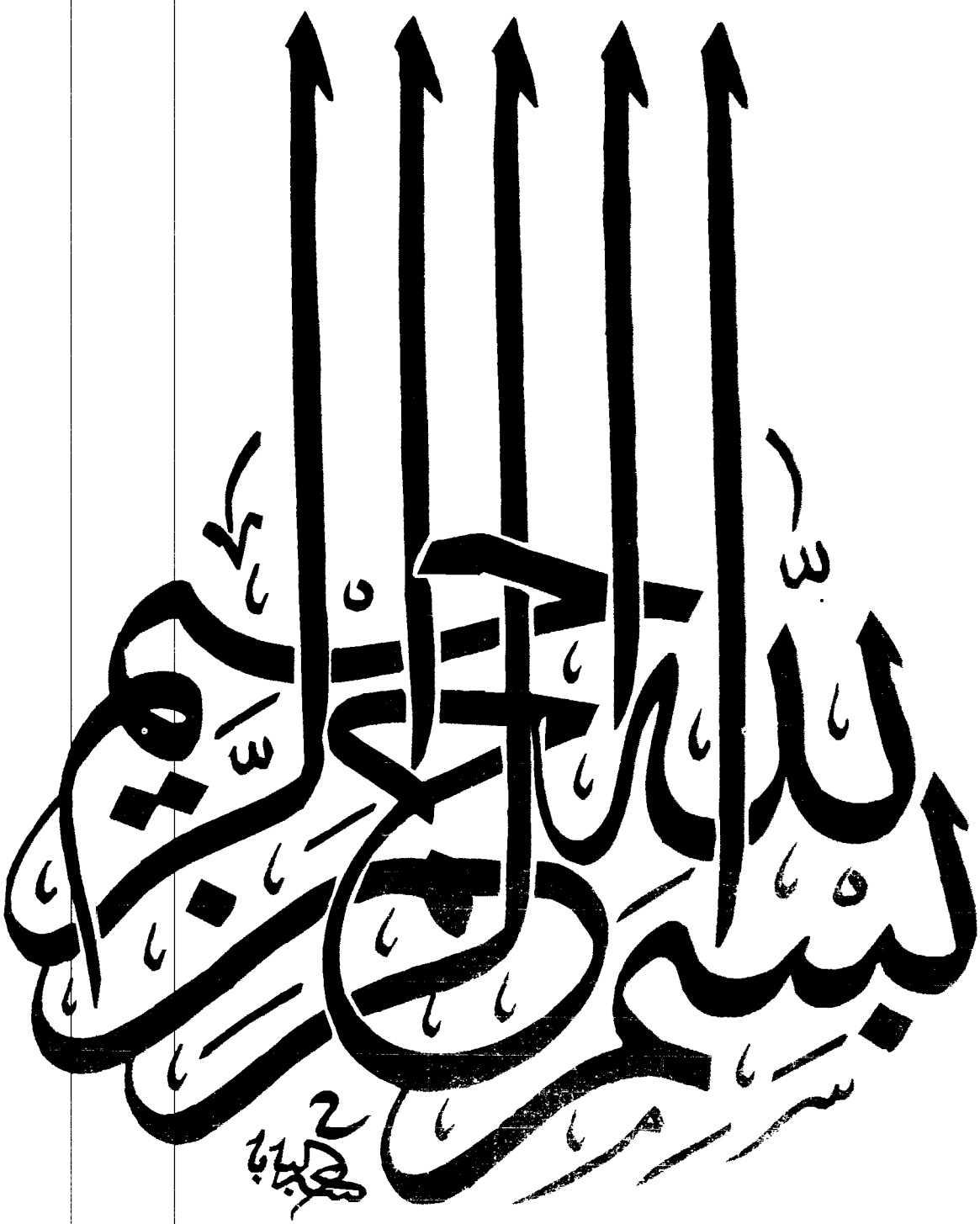
بسم الله الرحمن الرحيم

# الإهداء

إلى أعزّ من أنعم به الله عليّ من نعم بعد نعمة الإيمان

- إليكما أبي وأمي الغاليين حفظكما الله وأطال في عمركما
- إلى اللّذان أضاءا حياتي وملآها فرحا وسعادة إخوتي :

محمد الأمين و نورية

- إلى جدّتي الكريمة "جوهر" التي كانت تأمل أن تراني في هذا اليوم.
- إلى الّذين لم يبخلوا عليّ بالعون المادي والمعنوي والنّصح والنّصح وإلى كل من تربطني بهم علاقة القرابة والصداقة وخاصة

إلى العائلتين الكريمتين :

بلحسين و مرين

- إلى كل من ساهم بالفضل في نجاحي إليكم أساتذتي الكرام.

وخاصة إلى [illegible] للحضارة العربية الإسلامية [illegible]

العالم [illegible]

# مقدمة

إنّ صراع الحضارات تتحكم فيه يد الغرب حاليا، وتسير وقائعه نحو روح الغلبة، وهو صراع قائم على فكرة السّيطرة على الإنسان والطبيعة ووسائل الإنتاج بكلّ وسيلة .

وقد تمّ التّفكير عند الغرب في إقامة منهجية تستهدف احتواء ثقافة الآخر، وركزت في ذلك على دراسة البّيئة العربية الإسلامية لأسباب تاريخية تعلقت بخصوبتها في زمن التّضج والإزدهار، وشمل هذا محاولة التّحكم في الجوانب الثقافية:( العلمية ،الفكرية ،اللغوية والدينية ) .

وضع الغربيون مؤسسات محكمة توافقت مع منهجيتهم في العمل، أدت وظيفة بين السّلب والإيجاب، ومنها مؤسسة عرفت بالاستشراق.

قد باتت الرّحلات والتقارير السّرية والمعايشات المستمرة ، رصيدا استراتيجيا لا يكاد يتحرك الغرب إلاّ بموجبه، وقد استطاعت هذه التقارير أن تحتوي الشرق، وتمثله بالكيّفية التي يريد بها التحكم فيه، فكان ينبغي لذلك أن يصور الشرقي كائنا مختلفا أولا، ومتخلفا ثانيا وعاجزا عن تجاوز حالته بنفسه ثالثا، فمنذ انطلق الاستشراق في دراسة الشرق وضع في حسبانه أنّ الشرق النّقيض الحضاري الذي يكون المرآة العاكسة، لتموقعه في السّيطرة على العالم . لذا يشكل موضوع الاستشراق دورا كبيرا لدى الباحثين. فأولوه عناية كبيرة لأنه لم يهضم جانبا معينا من جوانب الحضارة، بل يحاول أن يتخصص في مختلف الجوانب الحضارية للشرق .

ولهذه الأسباب اخترت أن يكون موضوع دراستي دراسة تحليلية لكتاب أحد المستشرقين الذين اهتموا بالحضارة العربية الإسلامية، وعنونته

كالتّالي : "التّفسير الاستشراقي لحضارة الإسلام عند رالف لينتون "، لأن هذا الموضوع جدير بالاهتمام والتمحيص في جميع جوانبه كبحث ديني اجتماعي مع الأخذ بعين الاعتبار الأشكال والخصوصيات .

رغبة منّي في محاولة الإجابة عن إشكالية هامة تكررت في وعي الذّات العربية: كيف تناول المستشرقون التراث العربي الإسلامي؟ وهل اتسموا بالرّوح العلمية التي تفرض على الباحث التجرد من التّبعات الذاتية؟ وهذه الإشكالية تولد عنها سؤالان :كيف كان تأثير الاستشراق في الحضارة العربية الإسلامية ؟ وإلى أي حدّ كان الاستشراق مفسّرا للثّقافة العربية الإسلامية ؟

وافترض بداية أنّ المستشرقين جاؤوا للوطن العربي لأغراض استعمارية تجسسية، قد تخلوا دراساتهم من الرّوح العلمية والموضوعية المدقّقة خاصة حين تناولهم الإسلام .

ومما زادني تشبثا بهذا البحث، أنّ معظم الدّراسات التي كتبها أصحابها عن الاستشراق تخصصت في محور معين كالقرآن أو السنة أو الأدب العربي وغير ذلك، لهذا أردت أن أدرس كتابا اهتم بالإسلام واحتوى الحضارة العربية الإسلامية من جميع جوانبها ،لأقف على أهم النّقاط التي استنتجها واستخرجها المستشرق من تراثنا العربي، وما هي الصّورة الّتي يرى بها الغرب العرب، كما أردت أن أختبر نفسي كيف يمكن لي أن أتغلغل لمسات الاستشراق وأهدافه التي يريد أن يغرسها في أذهاننا، ولكن السّبب الحقيقي الذي دفعني إلى موضوع الاستشراق هي روح العروبة وغيرتي على التراث العربي الإسلامي.

لقد اقتضت طبيعة الموضوع تضافر منهجين متكاملين: هما المنهج التّاريخي الذي اهتديت به في تتبع الظّاهرة الاستشراقية في منبتها وهي تنمو بين أيدي المستشرقين،وتتبع علاقات الاستشراق بالدّوائر الإستعمارية وعملية التبشير وبالتوجهات الحضارية عامة .

أما في الفصول فرضت عليّ طبيعة المعالجة استعمال المنهج التحليلي، حيث تتبعت أقوال المؤلف فكرة بفكرة وقمت بتحليلها وتفسير معانيها والوصول إلى الأهداف التي كانت ترمي إليها، وكثيرا ما كنت أتدخل بالنّقد المبني على موقف الرّفض أو موقف التّسليم، فطبيعة البحث استلزمت منّي ذلك .

ولمعالجة هذا الموضوع ارتأيت أن تكون خطة البحث مقسمة إلى :

مدخل وثلاثة فصول فخاتمة.

لقد اخترت للمدخل عنوانا هو "التّفسير الاستشراقي " وحرصت فيه على تقديم التّعاريف الدّقيقة التي بنيت عليها التّصورات والمناهج، وحاولت من خلاله أن أقدم الأهداف المتوخاة من قبل المستشرقين. واقتربت في هذا المدخل من بعض الآثار الاستشراقية التي ميّزت مسيرة الاستشراق .

والفصل الأول خصصته ب"تفسير نشأة الإسلام "، وعالجت فيه قضية تأزم الأوضاع العالمية وتداخلها فيما بينها، التي أدت إلى انحلال الإمبراطوريات العالمية وفتح الأبواب أمام إمبراطورية جديدة التي أبهرت العالم بإنجازاتها الحضارية العظيمة والتي كانت عبارة عن قبائل متفرقة مبعثرة، حيث قضت على العصبيّة القبليّة وشكلت دولة عربية محضة وظلت تقف في المقدمة لقرون من الزمن .

أما الفصل الثاني فعنونته ب" تفسير الوحي" وخصصته بتحليل حياة الرّسول "صلى الله عليه وسلم " من ميلاده حتى مماته، حيث استدركت الكيفية التي حلل بها المؤلف سيرة نبينا محمد ( صلى الله عليه و سلم) والوقوف على أهم النّقاط من حياته، ثمّ انتقلت إلى القرآن الكريم الذي يمثل قلب الحضارة العربية الإسلامية والذي تحيا به، وعمودها الفقري التي تقف على تشريعاته .

وخصصت الفصل الثالث ل "تفسير المجتمع "انطلاقا من الانقسام الذي هزّ كيان المجتمع العربي الإسلامي بعد وفاة الرّسول ( صلى الله عليه وسلم ) والوقوف على أهم الأسباب التي أدت إلى هذا الانشقاق، ثم انتقلت إلى تفسير وتحليل نمط المعيشة التي اعتمدها المسلمون، ونجد أن المؤلف يقف على مجموعة من عادات ومعتقدات المجتمع الإسلامي موقفا حياديا نقديّا .

وختاما استعرضت بعض النتائج التي استنتجها من مفهومه للاستشراف، والأهداف التي يسعى من وراء دراسته العلمية، كما استدرجت مواقف المؤلف رالف لينتون من الإسلام والمسلمين والحضارة الإسلامية ككل .

وفي الوقت الذي كنت فيه مترددة في اختيار موضوع الاستشراق كمشروع للبحث، وفي جمع المصادر والمراجع المتخصصة في الاستشراف تيقنت أنّ الوقوف على أثار المستشرقين أصبح فرض عين على كل مثقف غيور على تراثه الحضاري .

ولكن العائق الوحيد الذي واجهني قبل الدّراسة هو عدم تمكني وتحكمي في اللغة الإنجليزية لذلك اضطررت إلى استعمال النّسخة المترجمة .

ومن النتائج المتوقعة من دراسة هذا الكتاب وتحليله :

- كشف حقيقة الاستشراق وتحديد موقف المستشرقين من الحضارة العربية الإسلامية .
- توضيح الطريقة التي فسّر بها المؤلف المجتمع العربي الإسلامي والصورة التي رسمها للشخصية العربية، وتبيان انصاف أو خطأ المؤلف في تفسيره هذا .

وإنّي أقدم هذا البحث حول محور الاستشراق وعلاقته بالحضارة العربية الإسلامية، فإنّني أسجل خالص وفائي وجزيل شكري لأستاذي المحترم "عبد الحفيظ بورديم " على تواضعه في المعاملة معي وعلى توجيهاته القيمة ومساعدته لي في إنجاز هذه المذكرة، وإلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد ولو بكلمة تشجيع فجازى الله الجميع خيرا .

وفي الختام أجدّد أملي في أن يكون لهذا البحث دورا في الكشف عن عمل المستشرقين، ودراسة أعمالهم بروح المسؤولية، هدفها خدمة الحضارة العربية الإسلامية والرّفع من شأنها وتصحيح ما شوهه الغربيون .

**عين تموشنت: 18 رجب 1432 الموافق ل:**

**20جوان 2011**

**فاطمة الزهراء شراك**

# رعد

## التّفسير الاستشراقي

# الاستشراق بين المصطلح و المفهوم:

إنَّ صراع الحضارات تتحكم فيه يد الغرب حاليا و تسير وقائعه روح الغلبة القائمة على فكرة التقدم و الرّقي بكل وسيلة، و قد تّم التفكير عند الغرب و غيرهم في إقامة منهجية تستهدف احتواء ثقافة الآخر، و ركزت في ذلك على دراسة البيئة العربية الإسلامية لأسباب تاريخية تعلقت بخصوبة الحضارة العربية الإسلامية في زمن النضج و الازدهار .

و شمل هذا محاولة التحكم في الجوانب العلمية و الفكرية و الثقافية و اللّغوية و الدينية.

استحضر المستشرقون أجهزة محكمة توافقت مع منهجيتهم في العمل، و من بين هذه الأجهزة الّتي أدّت وظيفة بين السلب و الإيجاب ظاهرة عرفت بموضوع الاستشراق.

شكل موضوع الاستشراق هاجسا لدى الباحثين فأولوه عناية كبيرة لأنه لا يهتم بجانب معين من جوانب الحضارة ، بل يحاول أن يتخصص في مختلف الجوانب الحضارية للشرق ، ومن بين المسائل الّتي أشكلت على الدارسين: مفهوم الاستشراق ، أسباب ظهوره ، علاقته بالتبشير ، وعلاقته بالدوائر الاستعمارية و علاقته بالتوجهات ككل.

## تعريف الاستشراق:

قد يبدو أن الخوض في كلمة الاستشراق هو من باب التكرار فقد خاض فيه المختصون ، و امتلأت به كتبهم، فلذلك ليس ثمة ما يبرر تكرار ما هو تحصيل و معروف بالضرورة ، ولكن ليس من السهل على[1]

[1] الحاج سالم ساسي " نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية و أثرها في الدراسات الإسلامية "، دار المدار الإسلامي، ط 1، ليبيا، 2002، ج1، ص 17.

الباحث التعريف بالأفكار العلمية المجردة"، لأن العلم دوما قابل للتطور ، و لأن هذا التطور المستمر يكشف عن جوانب فنية من قبل أو كانت ناقصة ليست وافية بالغرض.

وخاصة أن المستشرقين قد أخذوا مواقف اتجاه التسمية"الاستشراق" و ذلك لارتباطه بدوائر مشبوهة كالتنكير ، الاستعمار ، والمخابرات، و هذا ما جعل بعضهم ينتصل من التسمية و يتهرب منها[1].

## أ-الاستشراق لغة:

الاستشراق كلمة مركبة من الشرق و إضافة إلى الحروف الزائدة"الهمزة و السين و التاء"(أ س ت) والتي تعني في قواعد اللّغة العربية طلب الشيء ، فالاستشراق إذن طلب الشرق[2].

و الواضح أن كلمة الاستشراق مشتقة من مادة"شرق" يقال:"شرقت الشمس شرقا و شروقا إذا طلعت"، و أشرقت إذا أضاءت ، فإذا أراد الطلوع فقد جاء في حديث آخر حتى يطلع الشمس، و إذا أراد إضاءة فقد ورد في حديث آخر حتى ترتفع الشمس، والإضاءة مع الارتفاع[3].

و لفظة استشراق مولدة استعملها المحدثون من ترجمة كلمة "orientalisme" ثم صاغوا الفعل المزيد اسما و حدوده ب استشراق في اللّغات الأجنبية مرادف في الفعل العربي، والجدير بالذكر أن الكلمة الّتي نبحث عن مفهومها اللّغوي لم ترد في المعاجم العربية المختلفة القديمة ، غير أن هذا لا يمنع الوصول إلى معناها الحقيقي استنادا إلى قواعد الصرف و علم الاشتقاق[4].

## ب- الاستشراق اصطلاحا:

عرّف الاستشراق بأنه منهج عربي في رؤية الأشياء و التعامل معها يقوم على أن هناك اختلافا جذريا في الوجود و المعرفة بين الغرب و الشرق ،و أن الأول يتميز بالتفوق العنصري و الثقافي على الثاني[5]، وعرّفه

---

[1] م ن، ص 17

[2] ابن منظور"لسان العرب"، دار الصادر،ط1، بيروت،1410هـ - 1990م، ص 173

[3] أحمد سمايلوفتش"فلسفة الاستشراق ن و أثرها في الأدب العربي المعاصر"، دار الفكر العربي، القاهرة ، 1418هـ - 1998م، ص 21

[4] اسحاق موسى"الاستشراق ن نشأته، تطوره ، اهدافه"، مطبعة الأزهر، القاهرة،1967،ص01

[5] م ن، ص 5

آخرون تعريفا أكاديميا يقول:الاستشراق عبارة عن دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون في الدول الاستعمارية للشرق بشتى جوانبه تاريخية ، ثقافية ، أديانه و لغاته ونظمه الاجتماعية و السّياسية و ثرواته و إمكانياته ، من منطلق التّفوق العنصري و الثّقافي على الشرق ، بهدف السّيطرة عليه لمصلحة الغرب وتبرير هذه السّيطرة بحوث و نظريات تتظاهر بالعلمية و الموضوعية[1] .

- ✓ الاستشراق أسلوب غربي للهيمنة على الشّرق و إعادة صياغته و تشكيله فكريا و سياسيا ، و ممارسة السّلطة عليه ، وهي دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون كافرون من أهل الكتاب بوجه خاص للإسلام و المسلمين من شتى الجوانب:عقيدة ، شريعة ، ثقافة ، حضارة وتاريخا و نظما و ثروات و إمكانيات بهدف تشويه الإسلام ، ومحاولة تشكيك المسلمين فيه وتضليلهم عنه[2] .
- ✓ و قال د/محمود حمدي زقزوق في كتابه "الاستشراق و الخلفية الفكرية" الاستشراق: هو علم الشرق أو علم الشرق ، وكلمة "مستشرق" بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله ، أقصاه و وسطه و أدناه ... و الّذي يعنينا هنا هو المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق الّذي يعني الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته و آدابه و تاريخه و عقائده و تشريعاته و حضارته بوجه عام .

و خلاصته أن الاستشراق علم يحاول أصحابه دراسة الشّرق)و كل ما يتعلق به من لغات و آداب ومعتقدات و علوم و فنون و ما شكلها.

و أنه دو حدود واسعة غير واضحة ، و أنه قائم بذاته له خصائصه الّتي تدل على استقلاله[3].

---

[1] سعدون محمود الساموك"الوجيز في علم الاستشراق"، دار المناهج، ط1،عمان الأردن،1423هـ-2004م،ص15

[2] إدوارد سعيد"تعقيبات على الاستشراق"، ترجمة و تحرير صبحي حديدي ، دار الفارس ، ط، 1 بيروت ، 1996م ، ص 10

[3] عبد المنعم صبحي أبو شعيشع أبو دنيا"الاستشراق اليهودي"، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية ، 2008، ص 5

## نشأة الاستشراق:

لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية ، و لا في أي وقت كان ذلك؟ ولكن مما يجدر أن بعض الرّهبان الغربيين قصدوا الأندلس إبان عظمتها و مجدها، وتثقفوا في مدارسها ، وترجموا القرآن الكريم ، والكتب العربية إلى لغاتهم ، وتتلمذوا على يد العلماء المسلمين في مختلف العلوم، وبخاصة في الفلسفة و الطب والرياضيات.

يقول : د/ عمر فروخ"إن أوائل المستشرقين منذ القرن الرابع عشر هجري كانوا من الرهبان خاصة ، ذلك لأن العلم كان في ذلك الدور من تاريخ أوروبا قاصرا على الرجال الكهنوت ، فلا عجب إذن إذا نحن قلنا أن "جربرت Gerbert " الفرنسي الّذي أصبح بابا "سلفستر الثاني 999هـ 1003 كان أول المستشرقين " و كان إلى جانب "جربرت دي أولياك" الراهبان بطرس المحترم Pierre le senere"(1092-1156) و جيرا ردي كريمون Gerard de crement (1114-1178).

و قد عمل هؤلاء تحت راية الكنيسة الّتي كان لها دور في دفع تكوين العملية الاستشراقية[1].

و سيعرض الدكتور عدنان محمد وزان في كتابه" الاستشراق و المستشرقون" الآراء الواردة حول نشأة الاستشراق ، فيرى أن تحديد بداية الاستشراق محل جدل و خلاف بين الباحثين:

فبعضهم يرى أن ظهور الدراسات الاستشراقية يعود إلى تاريخ دخول المسلمين إسبانيا و جنوب إيطاليا و الصقلية في العصور الوسطى ، وهذا الأمر لفت أنظار أهل تلك البلاد إلى أحوال المسلمين ، و إلى الحركة الإسلامية فعكفوا على دراسة المسلمين ، وتاريخ الدعوة الإسلامية[2].

---

[1] عمر فروخ"الاستشراق بحث المستشرقون(مالهم و ما عليهم)" ، سلسلة كتب الثقافة المقارنة، بغداد ، العدد 1 ، ص 45

[2] محمد سيد محمد "الغزو الثقافي و المجتمع العربي المعاصر"، دار الفكر العربي ، ط1، القاهرة ، 1415هـ - 1994م، ص 158-159

و لقد كانت صلة فرنسا بالثقافة الإسلامية أولا في مدارس الأندلس و الصقلية حيث تأثرت بها، و أنشأت على أثرها مدارس للدراسات الشرقية و الإسلامية و معاهد و جامعات و مجلات و أما ايطاليا فقد كانت أعرق دول الغرب اتصالا بالمسلمين و حضارتهم اتصالا دينيا قويا، باعتبار الفاتيكان تمثل معقل المسيحية، فكان اهتمام الفاتيكان كبيرا باللغة العربية خاصة و بالعلوم و الثقافة الإسلامية عامة، فنشطت حكة الترجمة و النشر و عنيت جامعة بولونيا 1076 بعلوم العرب، و جامعة نابولي 1224 بثقافتهم و جامعة سيينا بآدابهم، و جامعة رومة 1248 بآثارهم و اللغة و الآداب العربية و الألسنة السامية، و جامعة فلورنسا 1321 باللغات الشرقية، و الجامعة الغريغورية 1553 باللاهوت و الحق و القانون الشرقي و الدراسات الإسلامية[1].

-رصد سما يلو فيتش لذلك مجموعة من آراء علماء العرب، و علماء الغرب نذكر منهم :

- محمد البهي، الذي يرى أنّ بداية الاستشراق كانت في القرن الثّالث عشر الميلادي، في بعض البلدان الأوروبية.

- إبراهيم اللّبان، الذي يرى أنّ البداية كانت في القرن العاشر الميلادي ثم ازدهر بعد ذلك.

- على الخربوطلي، فيؤكد أنّ الاستشراق بدأ في العصور الإسلامية الوسطى، حينما كان العرب في الصدارة.

- أحمد الشّرباصي، إلى أنّ الاستشراق بدأ تقريبا في القرن الثالث عشر ميلادي[2].

- نجيب العقيقي، فيرجع ظهور الاستشراق إلى ما قبل الحروب الصليبية الّتي لم تكن في رأيه، إلاّ نتيجة لوقوف الغرب على الشرق.

---

[1] عجيل جاسم النشمي"المستشرقون و مصادر التشريع الإسلامي". المطبعة العصرية،ط1، الكويت ، 1404هـ - 1984م، ص 7-8

[2] أحمد سمايلوفتش، م س، ص54 .

إسحاق الحسيني ، فيرى أنه من العسير أن يحدد ظهور الاستشراق سنة معينة و إنما يحدده بالتقريب ، بما قبل مئة سنة من ظهور الإسلام.

أما سمايلوفتش فيقول "لو تتبع الباحث أراء العرب جميعا لرآها تقترب من هذه الآراء الّتي سردناها...

أما أراء الغربيين ، فيمكن التمثيل لها بالأسماء التالية:

الأب لامس، إلى أن الأحبار الرومان قرروا دراسة العربية في مدارسهم منذ القرن الثالث عشر ، إلاّ أنهم لم ينفذوا ذلك إلاّ في فترة قصيرة عام 1519.

برنارد لويس، أولائك الّذين يعتقدون أن أول اتصال حدث بين أوروبا و العالم العربي يعود إلى الحروب الصليبية، فاحتكاك الغرب بالمسلمين كان قبل ذلك.

ماكس فانتاجو، أن الاستشراق ظهر في بدايات القرن الثاني عشر بعد دخول الصليبيين إلى القدس، وتمكن علماؤهم من نقل خمسة عشر كتابا في الهندسة[1].

و يلخص سمايلوفتش إلى القول أن"ميلاد الاستشراق كان حينما التقى الأوروبيون بالثقافة العربية الإسلامية المتفوقة على حضارتهم ، وظلت حركة الاستشراق تنمو وتزدهر حتى استطاعت تكوين صرحها العلمي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر"[2].

## دوافع الاستشراق:

بلا ريب فإنّ ظهور الاستشراق في بداية أمره كان لأسباب حضارية بما لكلمة حضارة من مدلولات و امتدادات ، و قد توزعت هذه الدوافع بحسب المظاهر الحضارية ، وكأن العمل في مجال من مجالات الاستشراق هو بمثابة الدفاع عن مصالح الغرب ، و الرغبة في رفض ذاته لبناء صرح الحضارة الغربية

[1] م ن، ص 57
[2] سمايلوفتش"فلسفة الاستشراق ". المرجع نفسه، ص 70

و ذلك بزوال حضارة الشرق ، وهذه الأسباب و الدوافع لا يختلف فيه المؤيدون و الرافضون للفكر الاستشراقي و في الحق أن كلاّ من الثناء المطلق و التحامل المطلق يتناقى مع الحقيقة التاريخية الّتي سجلها هؤلاء المستشرقون فيما قاموا به من أعمال ، وما تطرقوا من أبحث[1] .

للاستشراق بوجه العام من خلال دراساته العربية الإسلامية دوافع متفاوتة شدة و ضعفا ، إذ كان للمستشرقين عناية كبيرة بالإسلام و الآداب العربية و قد اتسمت بعض هذه الدوافع بالطابع التبشيري بينما اتجه البعض الآخر بغرض استعماري ، والآخر باتجاه علمي بالإضافة إلى دوافع أخرى:

## أ. الدافع التاريخي:

إذ من المعروف أن العلاقة بين الشرق و الغرب كانت عبر تاريخها الطويل تأخذ اتجاهات مختلفة ، من حب ولقاء، هجوم و عداء ، هدم و بناء، و إذا أمعن المرء النظر في التاريخ وجد خيوطا واضحة المعالم منذ القدم حيث حاول الشرق و الغرب أن يسيطر كل منهما على الآخر و من الجلي أن الغرب كان عبر التاريخ أكثر هجوما و عداء و أشد بطشا و قوة و أطماعا ، ولقد كانت العلاقة بينهما عبر التاريخ علاقة صراع متواصل و تطور بعد انطلاق الإسلام و ارتقاء المسلمين، حتى أصبح منذ ذلك الحين صراعا بالسلاح بقدر ما كان صراعا بالأفكار ، وبعد أن احتل الإسلام مكانة في التاريخ و أحدث فيه ما أحدث و أثر في حركته تأثيرا عظيما ، اضطر علماء الغرب إلى دراسته و البحث في كل ما يتعلق به لفهم مظاهره و أحداثه المعجزة ، وقد أجبرت هذه الظروف التاريخية أولائك العلماء للبحث فيها حتى أخذوا يتساءلون : من هذا الطارق الجديد على أبواب التاريخ ؟ و ما دام قد تربع على عرش التاريخ و تفوق أصحابه على عباقرة أثينا و فلاسفتها و خطباء روما و مؤرخيها ، فيجب البحث فيه[2]

---

[1] مصطفى السباعي " الاستشراق و المستشرقون "، دار الورق للنشر و التوزيع، بيروت، 1999، ص 20
[2] أحمد سمايلوفتش، م س، ص 43

و فيما يتعلق به من حضارة و آداب و فلسفة و أديان ، و لم يعد من سبيل إلى الإنكار بأن الاستشراق قد ولد في أحضان الواقع التاريخي و اتجاهه ، ولعل بعض النفوس في الغرب قد أحست بالمرارة من خضوع بلادها المطلق لهذا الطارق الجديد، فأرادت انكار فضله و أشادت بحضارة اليونان و الرومان حينا و كان من نتائج صراع الشرق و الغرب منذ قرون، و تفوق العرب على أوروبا أن صار الغربيون يشعرون بمذلة سببها الخضوع للحضارة الإسلامية الّتي لم يتحرروا منها إلاّ أخيرا فحاولوا أن ينكروا فضل المسلمين على أوروبا[1].

## ب- الدافع الديني:

عندما جاء الإسلام وجد العالم بأسره في أزمة فكرية حادة و قلق روحي بالغ ، فحاول أن يخرج الإنسان من الظلمات إلى النور ، و من الباطل إلى الحق، ومن التعصب إلى التسامح ، ومن الهدم إلى البناء ، وسرعان ما بدأت تدوي في الأقطار كلمة "الله أكبر" و ترن في الآذان "اقرأ" فبني في قرن ما لم يبن غيره في قرون و بدأ الناس حتى من غير أهله يتوافدون إلى مراكزه و معاهده ليتعلموا فيها، جاء بعضهم ليستفيد ثم يفيد، و الآخر ليتعلم ثم ليحارب و يهدم، و لم يكن لليهود أو للنّصارى من سبيل آخر إلا أن يتقبلا التحدي الكبير و يجبرا على دراسة الإسلام و لغاته و آدابه ، وقد ظلت اللّغة العربية لفترة طويلة لغة علم و ثقافة و فلسفة و سبيلا وحيدا للنهوض و الازدهار و بدت أقوم طريق لفهم الكتب السماوية ، وهكذا أصبح العامل الديني دافعا قويا لانتشار الاستشراق في العالم[2] ،

[1] م ن، ص 43
[2] م ن، ص 51

إذ أنشئت في الغرب المعاهد و المدارس لتعليم لغات الشرق و أديانه، و كان للرهبان من معرفتها للدفاع عن العقيدة ومنع انتشار الإسلام الّذي بدأ يزحف على المعاقل المسيحية و يطرق أبوابها فأقبلوا على الاستشراق ليتسنى لهم إعداد الدعاة و إرسالهم للعالم الإسلامي.

### ج. الدافع الاستعماري :

و هي بلا شك تمثل النقطة الخطرة في العلاقات بين الشرق و الغرب، و محاولة الأخيرة السيطرة على الأول و سحق قوته و احتلال أرضه و استغلال مقدورا ته، و لهذه الدوافع جذور عميقة زرعت و نبتت قبل الميلاد و ازدادت عمقا و شمولا مع اندفاع العرب و سيطرة الإسلام على الإمبراطوريات السابقة، ووصوله إلى أوروبا و استقراره في بعض أراضيه ، عندما رأى الغرب كل هذا شرع يعد قوته لخوض معركة فاصلة معه و السيطرة عليه ، فأخذ يتعلم لغته و آدابه و حضارته و تاريخه لكي يتفوق عليه، ثم قام بمغامرات صليبية معروفة فحارب الإسلام قرونا و لم ينتصر ، و لكن عندما نجح في طرده من الأندلس لم يكتف بذلك. بل واصل استعداده لمواجهة الإسلام في عقر داره و احتلال بلاده و السيطرة عليها.

و يعترف الاستعمار نفسه أن أشد ما يخشاه هو الإسلام و انتشاره لأن له قوته و جلاله وأنه الوحيد بين الأديان والمذاهب ، الّذي يستطيع أن يقف في طريق أطماع الغرب و سيطرته على العالم سياسيا و حضاريا و دينيا و فكريا، و من هنا يبرز لنا غايته و هدفه من الاستشراق ، وكان لابد للغرب المستعمر من معرفة ما يمكنه معرفته من أحوال هذا الشرق و مداخل السيطرة عليه و الاستبداد به[1]

[1] م ن، ص 52

## د. الدافع العلمي:

هو ذو شأن عظيم في حركة الاستشراق،لأن العالم العربي يعدّ كنزا حضاريا لا نظير له في بقاع العالم، ففيه شيدت حضارات و ثقافات و نشأت لغات و فلسفات و ولدت علوم و فنون ن، وتحقيقا لهذه الغايات السامية أيقن الغرب أنه لا بد له أولا إذا أراد النهوض أن يدرس لغات الشرق و آدابها وماحققه هذا الدين و رجاله من أهداف سياسية و اجتماعية و أخلاقية و ثقافية ، فأقبل المستشرقون على هذه الدراسات بشغف،و انطلق كثير منهم أفاق بناءة استفاد منها الشرق و الغرب،على أن الباحث على دراسة اللغات الشرقية في أول الأمر كان دينيا و حربيا في القرون الوسطى ، ثم تحول بعد ذلك إلى أغراض علمية هدفها كشف ما تكنه العلوم و الفنون الشرقية من كنوز ثمينة و بتقدم هذه الدراسات اتصل حبل المودة بين الشرق و الغرب و توثقت العلاقات العلمية بين الدول الشرقية و الغربية.

و صرّح بعض الفرنسيين قائلا:" إن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة بل يدين هذا العلم إلى الثقافة العربية بأكثر من هذا أنه يدين لها بوجوده نفسه... إنما ندعوه العلم الحديث ظهر في أوروبا نتيجة لروح من البحث جديدة و لطرق من الاستقصاء مستحدثة لم يعرفها اليونان و هذه الروح و تلك المناهج أدخلها العرب إلى العالم الأوروبي"، و انطلاقا من هذا الأساس أقبل الغرب بعلمائه على الشرق يبحثون، و هناك أمثلة كثيرة توضح هذا الاستشراق العلمي المنظم منها: البعثات الثلاث الّتي قدمت إلى الأندلس * بعثة فرنسية برياسة الأميرة "إليزابيث " إبنة خالة لويس السادس ملك فرنسا[1].

---

[1] م ن، ص 52

* البعثة الثانية انجليزية و على رأسها الأميرة "دوبان" ابنة الأمير جورج صاحب مقاطعة ويلز * أما البعثة الثالثة فكانت اسبانية ، وقد استفادت أوروبا من هذه البعثات العلمية فائدة لا تقدر، حيث أصبح أفرادها بعد عودتها من الأندلس شعلة علمية تضيء أوطانها و مجاهل أراضيها[1].

و هناك مجموعة من المستشرقين اندفعت إلى الشرق (العالم الإسلامي) نتيجة للانبهار بالحضارة و التاريخ الإسلامي ، والانبهار بالعقيدة الإسلامية الّتي بنيت على التسامح مع الآخرين ، الأمر الّذي لا يتحقق في إطار الدين الواحد في المسيحية مما جعلهم يغوصون في علوم الإسلام ، وانتهى المقام بالكثير أن يخرجوا من مكانة الاستشراق ويصبحوا في عداد المسلمين ، و الإيمان برسالتهم و الانصراف عن الاستشراق و هؤلاء لم تكن غايتهم المضرة بالإسلام[2].

[1] م ن، ص 52
[2] مصطفى السباعي ، م ن، ص 27

## رالف لينتون:

"27 فبراير 1893-1953"، عالم أمريكي متخصص في علم الإنسان ، ولد في فيلادلفيا و في أثناء دراسته للدكتوراه في جامعة هار فارد، قام بأبحاث في آثار بولينيزيا، و في الفترة بين عامي 1925-1927 عاش في مدغشقر و درسة ثقافة المنطقة ثم التحق فيما بعد بهيئة التدريس بجامعة وسكنسن و جامعتي كولومبيا و بيل.

تشمل كتب لينتون دراسة الإنسان 1936، الخلفية الثقافية للشخصية 1945.

حيث طور مفهوم المرتبة و مفهوم الوظيفة و هما من المفاهيم الّتي يستعملها كثيرا من علماء الاجتماع، يعتقد لينتون أن مرتبة الشخص الاجتماعية تتكون من مجموعة حقوق و واجبات ، وهذه المرتبة إما أن يحققها الشخص بمجهوده الخاص و إما أن يحددها له المجتمع اعتمادا على بعض المميزات كالعمر أو الأبوة أو الجنس.

و يعتقد كذلك أن مرتبة الشخص هي الّتي تحدد دوره ، أي وظيفة الشخص في المجتمع ، كما شرح كيف يؤثر وظيفة الشخص الاجتماعي في شخصيته ، و ساعد في تطوير وجهة النظر القائلة بأن كل ثقافة تنتج نوعا معينا من الشخصية الأساسية[1].

✓ ألف رالف لينتون عددا من الأبحاث و الكتب و ترجم عدد منها إلى عدد من اللّغات العالمية منها : العربية ، الفرنسية و الاسبانية و غيرها و منها:

1. "دراسة الإنسان" نقله إلى العربية : عبد الملك الناشف[2].

---

[1] الموقع www.alkatib-news.blogspot.com

[2] رالف لينتون " شجرة الحضارة "، ترجمة أحمد فخري، موفم للنشر، الجزائر، 1990، ج 2، ص 01

2. "الأنثروبولوجيا و أزمة العالم الحديث" نقله إلى العربية : عبد الملك الناشف.

3. "شجرة الحضارة" نقله إلى العربية : د.أحمد فخري.

## لمحة عن كتاب "شجرة الحضارة":

توفي الدكتور "رالف لينتون" و لم ينته من إخراج مؤلفه الموسوعي الكبير "شجرة الحضارة" إلى المطابع ، وإنما تم جمعه و استكماله بالاعتماد على النسخ الّتي تركها بعد وفاته ، ويرجع الفضل في ذلك إلى " أدلين لينتون" و على حد تعبير "أ.لينتون" فإن عنوان الكتاب المذكور "The tree of culture".

و ترجمته الحرفية "شجرة الثقافة أو شجرة الحضارة" يشير إلى شجرة البانيان (التين الهندي) الّتي تنبت في المناطق الحارة ، فأغصانها تتقاطع و تندمج ثم ترسل نحو الأرض بعض الأغصان الزائدة كجذوع في الهواء، فتتحول إلى جذوع قائمة ، وبالرغم من أن شجرة البانيان تتفرع و تنمو حتى تصبح أجمة صغيرة فإنها تبقى في الأصل شجرة واحدة ، ويمكن تتبع فروعها المختلفة الّتي تتجه كلها نحو أصل واحد، وهكذا الحال في تقدم الثقافة أو الحضارة ، فبالرغم مما يحدث من توزيع و انتشار أو استعارة من الغير ، أو من تطور ، يختلف عن الأصل ، فمن السهل تتبع ذلك إلى أصوله في عصر ما قبل التاريخ.

عالج الدكتور في هذا المؤلف عددا من الموضوعات الّتي تخص تطور الإنسان "منذ فجر ما قبل التاريخ ، و حتى بداية العصر الحديث" غائرا في أعماق حضارة الإنسان و ثقافته:

ركز في القسمين الأول و الثاني على موضوعات شتى منها : نظرية النشوء و الارتقاء و انتشار الإنسان[1] وأحواله المعيشية و النظريات العلمية الّتي عالجت موضوع الأجناس ، ومختلف التفسيرات الّتي تبنتها في

[1] م.ن، ص 02

ذلك ، كما اهتم بشكل خاص بثقافات المجتمعات الأولى ، مبينا كيف أن ثقافتها لم تكن جامدة ، و لا متحجرة ، وإنما هي ثقافات متطورة ثرية ، كانت طوال وجودها تحتك بغيرها من الثقافات الأخرى.

و عالج في القسم الثالث من مؤلفه ، موضوع الاختراعات الرئيسية الّتي شهدتها الانسانية في بداية حياتها، وحلل مرحلة استئناس أو تدجين الحيوانات و النباتات عند شعوب الشرق الأدنى ، وتطور المراكز العمرانية الأولى عندها ، ومدى تأثير الشعوب الأخرى بحضارة الشرق الأدنى و ينهي رالف لينتون هذا هذا القسم بفصل خاص عن تطور المدن و الولايات في بلاد الشرق الأدنى.

و خص القسم الرابع بدراسة الثقافات القديمة في جنوب غربي آسيا وأوروبا و هي المناطق الّتي شهدت العصر التاريخي للإنسان ، و لم يغفل الجوانب الاجتماعية الّتي شكلت شخصية الإنسان ، ومدى تفاعله مع البيئة الاجتماعية.

أما القسم الخامس فخصصه لدراسة تطور الحضارة في منطقة جنوب شرق آسيا ، و أوقيانوسيا ، و مدغشقر ، فحلل مجتمعاتها و ديانتها و نظمها الاجتماعية ، فهي منطقة حضارية هامة في العالم ، تتميز بكثافة سكانية عالية و بتأثيرها في مختلف المناطق و الشعوب الأخرى الّتي تحتك بها.

و تناول في القسم السادس منطقة جنوب غربي آسيا ، وأوروبا ، فدرس المجتمعات: الآرية و الترك و التتار و الساميين و العراق .

في حين خصص القسم السابع لدراسة حضارة الكويت و بلاد اليونان و الجرمان والرومان وخص الحضارة الإسلامية بجزء هام من هذا القسم[1].

[1] م ن، ص 03

أما إفريقيا فخصص لها القسم الثامن ، بما فيها الحضارة المصرية الفرعونية ، وأفرد القسم التاسع لحضارات الهند و الصين و اليابان ، ثم أنهى مؤلفه بالقسم العاشر الّذي درس فيه هنود أمريكا الشمالية والجنوبية.

يعتبر هذا الموسوعي مرجعا لعدد من فروع العلوم الاجتماعية و الأنثروبولوجية ، كعلم الاجتماع و التاريخ و الآثار و الجغرافيا و الاقتصاد و الأديان ، والسياسة ، وعلم الأجناس[1].

[1] م ن ، ص 03

# رصيد الأمة

## تفسير نشأة الإسلام

- انحلال الإمبراطوريات العالمية
- انتهاء القبائل وتشكل مجتمع إسلامي

# انحلال الإمبراطوريات العالمية:

يقول المؤلف: عندما اضمحلت الإمبراطورية الرومانية في الغرب وانتهى أمرها، ظلت الإمبراطورية الشرقية مستمرة في أداء رسالتها، وبزغت من الشرق الأدنى دولتان إحداهما كانت تسمى الإمبراطورية البيزنطية[1] .

يعتبر تاريخ الإمبراطورية البيزنطية كما يراه بعض المؤرخين مرحلة جديدة من مراحل تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ولعل هؤلاء أخذوا بهذه الفكرة هو أنّ الحكام البيزنطيين كانوا يعتبرون أنفسهم أباطرة الرومان، ونجد أن الإمبراطورية البيزنطية حاولت فرض سيطرتها على الأراضي التي كانت تابعة للإمبراطورية الرومانية، ولقد كان هذا واضحا في بدايات العصور الوسطى في كل من الشرق والغرب الأوروبي، ومن ذلك ما طلبه الإمبراطور الكسيوس كومنين (1081-1118م) من قواد الحملة الصليبية الأولى أن يردوا جميع الأراضي التي كانت تابعة للإمبراطورية قبل أن يسمح لهم بالعبور إلى آسيا الصغرى في طريقهم إلى الشام، كما أن الإمبراطور مانويل عندما تحالف مع الصليبيين لغزو مصر عام 1169م، كان يرى أن مصر كانت تابعة للإمبراطورية الرومانية وعليها أن تعود مرة أخرى إلى حظيرة الإمبراطورية.

والملاحظ أنّ المؤرخين تمسكوا بلقب الإمبراطور الروماني واستعمل على حاكم الدولة أو الإمبراطورية الرومانية طوال عهدها حتى عام 800م[2]

---

[1] رالف لينتون "شجرة الحضارة"، ترجمة أحمد فخري، موفم للنشر، الجزائر، 1990، ج 2، ص425.

[2] محمود سعيد عمران "الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها"، دار النهضة العربية، د ط، بيروت- لبنان، 1430هـ، 2009م، ص9.

دولتان احداهما كانت تسمى الإمبراطورية البيزنطية، وهو أفضل بكثير من اسمها الآخر وهو الإمبراطورية الرومانية الشرقية[1].

فمؤرخوا العرب استعملوا كلمة الروم فيما ورد في القرآن الكريم في الحديث عن حروب هرقل مع الفرس، قال تعالى:[ **ألمْ، غلِبتْ الرّوم، فِي أدنى الأرضِ وهمْ مِنْ بعْدِ غلبهمْ سيغلِبونْ** ][2].

أما المؤرخون المحدثون استعملوا العبارتين، الإمبراطورية الرومانية الشرقية مرجعها إلى الإمبراطورية الرومانية على عهد الرومان القدامى، كانت مساحتها تشمل كل أنحاء أوروبا والجزر البيزنطية بالإضافة إلى آسيا والشام ومصر والساحل الإفريقي حتى المحيط وكانت عاصمتها روما.

وعندما اعترف الإمبراطور **قسطنطين الأول** بالديانة المسيحية كدين في الإمبراطورية عام 312م، ونقل العاصمة من روما إلى المدينة الجديدة التي بناها وسميت باسمه وهي القسطنطينية عام 330م.

أما العبارة الثانية وهي الإمبراطورية البيزنطية هو الآخر من المسميات الحديثة له، فكلمة بيزنطة مرجعها إلى أن الإمبراطور قسطنطين عندما بنى عاصمته القسطنطينية بناها على أنقاض مدينة قديمة تدعى بيزنطة أسسها بيزاس القائد المجموعة اليونانية التي هاجرت إلى هذا الموضع في القرن 7 ق.م، وعرفت المدنية باسم بيزنطة نسبة إلى هذا القائد[3].

والملاحظ أن الاسم الأخير بيزنطة هو الذي بقي راسخا على الدولة ويبدو أن هذا الاسم هو المناسب لهذه الإمبراطورية الجديدة.

---

[1] رالف لينتون "شجرة الحضارة" ج2، ص423

[2] الروم،الأيات:1-2-3

[3] محمود سعيد عمران، م س، ص12

يقول المؤلف كانت المملكة الساسانية سليلة مباشرة للإمبراطورية الفارسية التي اشتبكت في حروب مع الإغريق، ولكن مهما تغيرت الأسرات الحاكمة مع مرور الأيام فإن النظم العامة في البلاد تستمر باقية، فقد كانت إيران بلادا على درجة كبيرة من التنظيم والمدنية[1].

إن دولة الفرس من أقدم أمم العالم، وأشدهم قوة وآثار في الأرض، وقيل أنهم منسوبون إلى إيران بن إيران بن أشوذ وقيل إلى غليم بن سام.

ويقال أن الساسانية فقط من ولد إسحاق وأن جدهم منوشهر بن منشحر بن فرهس بن وترك، وفيما قبل أن الفرس كلهم من ولد إيران بن أفريدون، وكان أول من ملك إيران أرض فارس فتوارت أعقابه الملك، ثم صارت لهم خراسان ومملكة النبط والجرامقة تم اتسعت إلى الإسكندرية عربا وكانوا مملكة واحدة.

وكانت مواطن الفرس في أول أمرهم بأرض فارس، وبهم سميت ويجاورهم إخوانهم في نسب أشوذ بن سام ثم اتسعت مما لكهم إلى الإسكندرية.

واتفق المؤرخون على أن الإمبراطورية الفارسية على أربع طبقات وهي الطبقة الأولى تسمى البيشدانية والطبقة الثانية تسمى الكينية والطبقة الثالثة تسمى الأشكانية والطبقة الرابعة تسمى الساسانية.

فكانت المملكة الساسانية سليلة للإمبراطورية الفارسية وكان مبدأ أمرها من توثب أردشير بن بابك بن هرمز بن بن ساسان الأكبر[2].

---

[1] رالف لينتون، "شجرة الحضارة" ج2، ص425

[2] ابن خلدون "تاريخ ابن خلدون"، علق عليها تركي فرحان المصطفى، دار أحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 1419-1999، ج 2، ص151

وهكذا كانت المملكة الساسانية الطبقة الرابعة للإمبراطورية الفارسية وما هي إلا سليلة لها في مبادئها ونظمها.

يقول المؤلف: وكانت الديانة الزرادشتية وهي الديانة الرسمية للدولة لفترة من الزمن[1].

عبد الفرس أول أمرهم قوى الطبيعة وخصوصا ذلك المخلوق العظيم (الشمس) الذي تجلّى عليهم حتى رأوه بأعينهم في السماء، وأثبتوا له الكثير من الأوصاف الإلهية فقالوا: إنه عالم بكل شيء وأنه خير محض وأنه أعظم الموجودات، وأنه نوراني يشرق العالم بنوره، كما مجدوا النار لعلاقتها بالنور حتى صاروا يعبدونا عينا، وبالغوا في ذلك حتى انقرضت كل عقيدة وكل ديانة، ولم يبق غير عبادة النار.

وفي ظل هذا الجو العام قامت الزرادشتية في القرن السابع قبل الميلاد على يد زرادشت، تنادي بالإصلاح، وقد ولد زرادشت قرب بحيرة أورمية في الشمال الغربي من فارس، وكرس شبابه للتأمل والصلاة، وانتهى به ذلك إلى إظهار دعوته من خلال كتاب "الأفستا المقدس".

وظلت هذه الديانة ديانة رسمية للبلاد لفترة من الزمن، إلى أن فقدت رونقها بفضل المجددين الذين سنوا شرائع وتعاليم مختلفة[2].

وأكد المؤلف أن الديانة الفارسية تقوم على الفكرة القائلة أن قوتين تسيطران على العالم وأن هاتين القوتين تتصارعان دائما، وهما الظلمة والنور أو الشر.[3]

---

[1] رالف لينتون "شجرة الحضارة"، ج2، ص426

[2] عبد الحميد الخطاب "الوضع العقائدي ومجيء الإسلام "، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط ، الجزائر، 1987، ص32

[3] رالف لينتون، م س، ص426

قامت الدّيانة الفارسية على أن الكون معركة بين الخير والشر وعلى هذا الأساس أقام زرادشت فلسفته الثنائية في الألوهية والكون، وذلك أن في العالم حوادث كثيرة متنوعة، فمنها الخير ومنها الشر وهذه الحوادث لا توجد بنفسها، بل لابد لها من أصل تستند إليه[1].

ويرى استحالة نسبة الخير والشر إلى أصل واحد، ولهذا كان من الضروري عنده، لتفسير ما يجري في العالم، من القول بوجود قوتين متضادتان مختلفتين جوهرا وفعلا، فواحدة طاهرة مقدسة خيرة، تفيض عنها الحياة والعناصر الطبيعية، وكل ما في الوجود من نوع، والأخرى دنسة تصدر عنها الآفات والأمراض والهلاك والتدمير وكل ما يترل بالإنسان من شرور وبلاء، فالأولى تسمى" آهورامزدا" ومعناها إله الحياة والنور والخير والحكمة، والثانية تسمى " آهريمان" ومعناها إله الظلام والشر والشيطان.

وهاتان القوتان متضادتان في كل شيء، في العلم ، في الشريعة، في الكلمات، في الأفعال والحياة، ولهذا كان بينهما عداء مستمر، ويحاول كل منهما أن يكون له الغلبة دون صاحبه، لكن النصر يكون دائما لإله الخير والنور، ويحمي جميع ما في العالم من شرور ومحن.

وهكذا بنيت الديانة على فكرة الصراع الناشب بين الخير والشر، وحملت حملة عنيفة على القرابين ودعت إلى إحلال الطهارة الخلقية، وتنقية نوايا محل طقوس الخارجية والعبادات الشكلية، وقد دعت إلى ما يشبه توحيد من خلال إله النور ثم إلى مقاومة مبدأ الشر[2].

[1] عبد الحميد خطاب، م س، ص 33
[2] م ن، ص33-34

## انتهاء الإمبراطوريات العالمية:

وكانت بيزنطة في حالة إجهاد مستمر، ومن ناحية كانت تجهدها الغارات المستمرة من الشمال التي كانت تقوم بها قبائل البلغاروسلاف وغيرهما، ومن ناحية أخرى كانت تجهدها حروبها مع الفرس الساسانيين[1].

دفعت الظروف الصعبة، التي عاشها شعب القسطنطينية بعد تولي عرش البلاد حاكما مغتصبا هو الإمبراطور فوكاس، إذ للمرة الأولى أصبحت القسطنطينية عاصمة للإمبراطورية يلي العرش حاكما بالثورة المسلحة الذي تسبب في تحطيم إمبراطورية بسرعة مخيفة .

لقد تولى فوكاس عرش البلاد عندما ثار جيش الدانوب في عهد الإمبراطور موريس، آخر خلفاء جستنيان، ورفض الجنود الطاعة وطرحوا قوادهم، واختاروا فوكاس رئيسا لهم، ونادوا به إمبراطورا لهم، وفي اللحظة التي اعتلا فوكاس العرش أعلن كسرى الحرب عليه وادعى زورا أنه يريد أن يثأر لموريس لأنه كان صديقا له.

وفي عام 608م سقطت جميع الولايات بالعاصمة حيث تعاون مع الفرس الآفار والسلاف.

و من جهة أخرى بعثت أحزاب قسطنطينية تستنجد لهرقل حاكم قرطاجة في إفريقيا ليخلص الإمبراطورية من نير الوحش، فاستجاب للنداء وأعد أسطولا أرسله للإنقاذ، وأثار ضياع الصليب المقدس الرعب والغضب، وكان الانفجار الأكبر للمشاعر والأحاسيس الوطنية والدينية للإمبراطورية الشرقية[2].

وعند ذلك أقسم الإمبراطور هرقل يمينا أن يسير بنفسه على رأس جيشه لاسترداد بيت المقدس من غاصبيه .

---

[1] رالف لينتون" شجرة الحضارة"، ج2، ص428

[2] محمود السيد" تاريخ الدولة البيزنطية"، مؤسسة شباب الجامعة، دط، الإسكندرية، 2007، ص 61

ففي حملته الأولى قام بخدعة حربية أرغمت الفرس من الانسحاب من آسيا الصغرى، وذلك عندما نزل بحرا إلى فليقية في مؤخرة العدو، وهدد من مكانه ذلك كلا من سوريا وكبادوكيا، فأسرع الفرس بالانسحاب من معسكرهم المواجه للقسطنطينية، وساروا لمهاجمته وعندئذ قام هرقل بمناوراته الحربية التي هزم بعدها القائد الفارسي وانسحب من كل آسيا الصغرى.

أما في حملته الثانية أحرق الإمبراطور هرقل معابد النار في "جتراكا" عاصمة "ميديا وطيبا" من حيث مولد بني الفرس زرادشت، وهنا أسرع كسرى باستدعاء جيوشه من الغرب وحارب في جبهتين للدفاع عن المدائن، ولكن هرقل حقق على كسرى انتصارا بعد خسائر عالية.

ثم قام هرقل بحملته الثالثة والرابعة، وهي الحملة التي حسمت المعارك في الحروب مع الفرس، إذ عمد كسرى إلى الاتفاق مع ملك الآفار على توحيد خططهم الحربية لكسب النصر ضد هرقل، ولكن قائد الروم لم يمكنه من تحقيق هدفه، إذ عثر على رسالة حربية من كسرى إلى قائده في الميدان فحجزها عن الوصول إلى القائد الفارسي، وهكذا فشلت خطة كسرى لتحقيق الكسب في المعركة ضد هرقل[1].

واستمر الصراع بين الإمبراطوريتين سنوات عديدة استنزف خلالها موارد الدولتين، حتى صارتا في أشد حالات الضعف، ولم تكن هناك فرصة لأي مواجهة عسكرية بعد ذلك في أي حال من الأحوال.

يقول المؤلف: وفي هذه الظروف،وعلى ذلك المسرح، ظهرت جيوش العرب الغازية في عهد من خلفوا "محمد" مباشرة[2].

وفي هذه اللحظة بالذات ظهر عدو جديد داخل المسرح الحربي لمواجهة الإمبراطورية البيزنطية والفارسية في وقت واحد.

---

[1] م. ن، ص62

[2] رالف لينتون "شجرة الحضارة" ج2، ص429

و لم يكن أحد في بلاد فارس أو بيزنطة يفكر أن قبائل العرب المبعثرة المتفرقة في شبه الجزيرة العربية يمكن أن تتحد وتشكل خطرا عظيما عليهما، إلاّ أن واقع الحال كان في هذه البلاد العربية تجري فيه حركات ذات أبعاد عالمية وفرضت نفسها بحيث قدر لها أن تعيد خريطة العالم كله[1].

في الوقت الذي ظهر فيه الإسلام والتأسيس للدولة الإسلامية، حاول الإمبراطور هرقل إيجاد مذهب جديد للتوفيق بين المذاهب المتعارضة، وجاءت النتيجة بعكس ما يريد الإمبراطور البيزنطي، إذ أن كل إقليم تمسك بمذهبه ورفض مذهب الإمبراطور رفضا قاطعا وازداد الموقف تعقيدا، حتى أن البعض عمل على الانفصال عن الإمبراطورية في سبيل حرية العقيدة.

وفي ذلك الوقت أخذ مركز التجارة بين بلاد العرب وبيزنطة يعمل على نقل الأخبار من الجنوب إلى الشمال وبالعكس، ولم تكن بيزنطة تعير أخبار العرب أو الحركة الإسلامية اهتماما، باعتبارهم جنس قليل الخطورة تعمه الأحقاد والحروب القبائلية، وبعث الرّسول (صلى الله عليه وسلم) برسله إلى قادة العالم وحكامه يبشر بالدعوة الإسلامية فمنهم من استقبل الدعوة بصدر رحب ومنهم من استنكر على العرب مثل ذلك، لأنهم لم يكن لهم كيان يذكر في المجتمعات الدولية في ذلك الوقت، وبمرور السنين تشبت بين الفريقين معركة كبيرة انتصر فيها العرب بقيادة خالد بن الوليد، وقد تجلى خلالها الشعور القومي العربي، حيث أخذ النصارى الموالين لبيزنطة ينضّموا إلى إخوانهم العرب المسلمين أثناء القتال، و حسمت معركة "اليرموك" إلى انتصار العرب على بيزنطة، وخروج الإمبراطور البيزنطي من بلاد الشام ثم العراق ومصر، وتلى ذلك تقدم العرب إلى الغرب في شمال إفريقيا، وابتداء من القرن الثاني عشر الميلادي ضعفت الدولة تدريجيا حتى انتهى وجودها كدولة بسقوط القسطنطينية في يد الأتراك[2]

[1] محمود سعيد عمران، م . س، ص325.
[2] محمود السيد، م س، ص 78

العثمانيين ، وتعتبر الأمة الفارسية أقدم من خالط العرب من الأمم الغربية، ومن أجل ذلك كانت بين الأمتين منافسة خصوصا في أيام الدولة الساسانية، وكان العرب يرون بلاد الفرس أصعب منالا من بلاد الدولة البيزنطية.[1]

فلما اطمأن العرب من ناحية الروم، وجهوا أنظارهم لغزو الفرس في العراق، فبعث الخليفة عمر-رضي الله عنه- رجلا من كبار الصحابة، وهو سعد بن أبي وقاص على رأس جيش التقى مع جيوش يزدجرد آخر ملوك الفرس في العراق عند مدينة القادسية، وكانت من نتائج هذه المواجهة السيطرة على هذه المدينة، حيث اعتنق سكانها الإسلام، عند ذلك كتب سعد إلى عمر يبشره بالفتح، فكتب إليه أن يقنع بهذا فاتخذ سعد مدينة الكوفة، وأسس فيها المسجد الجامع، واختط الناس المنازل بها، وأصبحت من حواضر المسلمين الهامة[2].

ثم توغل سعد بن أبي وقاص في بلاد العراق واستولى على المدائن الواقعة على نهر دجلة، وكانت حاضرة بلاد الفرس بعد أن حاصرها شهرين وغنم العرب منها غنائم كثيرة من بينها بساط كسرى[3].

وتابع العرب فتوحهم في بلاد الفرس حتى استولوا عليها كاملة، وفي أيام الخليفة زالت الدولة الساسانية، وتحققت دعوة النبي بتمزيق مملكة الفرس، ولم تقتصر أعمال العرب على الحرب والفتح فحسب، بل إنهم أعادوا الأمن والنظام إلى البلاد[4].

وهكذا استطاعت القبائل المبعثرة في رأي الإمبراطوريات القديمة بتغيير مجرى العالم والستطاعت الحصول على الصدارة لقرون من الزمن.

---

[1] م ن ،ص78

[2] هدى بوفرحات"قصة و تاريخ الحضارات العربية، العراق- الأردن"،Editor Greps.INT، د ط، د ب، د ت، ص 52

[3] م ن، ص 52

[4] م ص، 54

## انتهاء القبائل وتشكل مجتمع إسلامي:

يرى المؤلف رالف لينتون غرابة في مقدورة الجيوش العربية الصغيرة الآتية من الصحراء أن تهزم جيوش أعظم إمبراطوريتين في العالم في ذلك العهد[1].

كان ظهور الإسلام في الواقع ثورة دينية وسياسية واجتماعية واقتصادية، أو بمعنى واضح انتقالا حاسما في تاريخ العرب .

إذ جعل لهم دينا واحدا يدعوا إلى الوحدانية، وحقق لهم وحدتهم السياسية، وجعل من العرب أمة موحدة قوية، حققت من الفتوحات مثلما حققته الإمبراطوريات القديمة .

ومن الطبيعي أن لكل ثورة دينية أو سياسية أو اجتماعية، مراحل تمهيدية ومقدمات، ويتجلى هذا التقديم أو التمهيد في ضعف المثل الجاهلية القديمة، سواء كانت سياسية أو دينية أم اجتماعية والميل إلى تركها في سبيل مثل أخرى جديدة والتنبؤ بقرب ظهور نبي مصلح يدعو إلى هذه المثل[2].

وفي هذه النقلة الواسعة، التي حققتها الدعوة في الحياة العربية، من الجاهلية إلى الإسلام، لم يتشكل المجتمع الإسلامي، هذا التشكل السريع، ولم يكن أثرا لحادثة واحدة، كان أثرا للفكرة الإسلامية في جملتها، ولكنه جاء نتيجة لطائفة من العوامل التي تضافرت في صياغتها وتعاونها بالتشكيل على هذه الصورة مرة أو على تلك الصورة مرة أخرى، حتى استقامت له بعد ملامحه وظهرت فيه معالمه وضحت له طبقاته المتميزة من السياسية إلى الدينية إلى الاجتماعية[3].

---

[1] رالف لينتون "شجرة الحضارة" ج2، ص429

[2] السيد عبد العزيز سالم، سحر السيد عبد العزيز سالم "معالم التاريخ الإسلامي"، مؤسسة شباب الجامعة، د ط، إسكندرية، 2004، ص20

[3] شكري فيصل "المجتمعات الإسلامية"، دار العلم للملايين، ط5، بيروت - لبنان، 1981،ص39

ولكن الفارق المهم الذي سهل على العرب غزواتهم هو أنه بينما كان للغزاة المتوحشين في العصور السابقة الذين غزوا الإمبراطورية الرومانية تنظيم قبلي يحتم عليهم أن يقاوموا بعض مقاومة الأغراب الذين انضموا إليهم وأصبحوا جزءا من القبيلة[1].

وفيما يخص بانضمام بعض القبائل إلى العرب فهذا صحيح، ويظهر من خلال انضمام بعض النصارى من الدولة البيزنطية إلى العرب المسلمين وكذلك اعتناق مجموعة من بلاد فارس الإسلام، وهذا ما دفع بالخلفاء لرفع الجزية عنهم، ولكن المؤكد في انتصار العرب على هذه الإمبراطوريات من خلال التمهيد للنقلة الجديدة ويتجلى هذا التقديم في الطبقات السياسية والدينية والاجتماعية التي كانت في الجاهلية، و هي التي منحت القوة للعرب أثناء الإسلام .

فمن الناحية السياسية كان المثل العربي في العصر الجاهلي يقوم على نظام القبيلة، والقبيلة وحدة سياسية قائمة بحد ذاتها، لها دينها الخاص ولها عصبيتها التي تضمن التماسك بين أفرادها والاعتزاز بالإنتساب إليها، والعصبية على هذا النحو هو مصدر القوة السياسية للقبيلة، ولكنها مع ذلك قضت على فكرة الترابط السياسي لمجموعة القبائل، وعلى هذا النحو لم يكن للمجتمع العربي في الجاهلية نزعة قومية شاملة، إذ كان مجتمعا مفتتا من الناحية السياسية إلى وحدات سياسية، متعددة قائمة بذاتها، قتلتها القبائل المختلفة، ثم بدأ العرب قبل الإسلام ينقسمون إلى مجموعات قبلية كبيرة تنتمي جميعا إلى أب واحد، ثم أخذت مجموعة القبائل ترتبط بما يجاورها من مجموعات قبلية أخرى وذلك بعقد روابط الحلف، وأخذ العرب يتنازلون تدريجيا عن استقلالهم القبلي، حتى أصبحت القبيلة لا تتورط في إعلان الحرب إلاّ إذا انضمت إلى جارتها أو وقوفها منها موقفا حياديا، ثم إننا نجد العرب قبيل الإسلام تفطنوا إلى مطامع الروم[2]

---

[1] رالف لينتون "شجرة الحضارة" ج 2 ، ص 430

[2] السيد عبد العزيز سالم ، سحر السيد عبد العزيز ، م س ، ص 20

والفرس في بلادهم، وأحسوا بخطر الطمع الأجنبي يهددها، ويمتد إلى أطراف جزيرتهم، فنبتت الروح القومية، وازدادت هذه القومية بظهور الإسلام وحقق وحدة العرب في الجزيرة وفي الشام والعراق[1].

أما الناحية الاجتماعية والدينية، كان العرب في جاهليتهم يعيشون إما في المدن وإما في البوادي، والأولون يطلق عليهم أهل الحضر، والآخرون يطلق عليهم أهل البادية، وتمت فروق عديدة في أنظمة حياتهم وأنماطها في المسكن والمأكل والحياة العامة، على أن المجتمع الحضري قد شمل طبقات ثلاثا وهي طبقة الأغنياء والطبقة الوسطى وهي أقرب إلى الفقر منها إلى الغنى، ثم طبقة الأرقاء، وأما المجتمع البدوي أو القبلي فكانت الغلبة فيه للأقوياء الذين يستطيعون فيه الاستيلاء على مواقع الكلأ والماء، وفي الوقت الذي يعيش فيه الضعفاء معدمين من حولهم لا حول ولا قوة لهم حيث لا قانون ينشر العدل ويصون الحقوق إلا قانون القوة والتسلط[2].

وكان البدو الأقوياء يقومون بغارات متصلة بجيرانهم من القبائل الصغيرة، يفرضون عليهم الأتاوات كما كانوا يفرضونها أيضا على القوافل المحملة بالبضائع التي تمر في أرضهم وهذا الأمر الذي كان له أثرا فعالا في الحياة الاقتصادية التي تزدهر وتترعرع في ظل الأمن وتذبل في ظل الغارات والقلاقل[3].

أما العقائد الدينية فكانت عديدة بين العرب، فكان منهم اليهود متمركزين في شمال الحجاز في يثرب والنصارى مثل الغساسنة ،كما أن النصرانية شاعت بين القبائل، وعلى أن الوثنية كانت العقيدة الغالبة على القبائل العربية، وكانت أشهر أصنامهم اللات والعزى وكل صنم لطائفة من القبائل[4].

---

[1] السيد عبد العزيز سالم، سحر السيد عبد العزيز، م س، ص 21.
[2] آدم متز "الحضارة الإسلامية"، مكتبة الخانجي، مصر ،605 ه -696 ه، ص 30
[3] آدم متز " الحضارة الإسلامية"، مكتبة الخانجي، مصر ، 605هـ-696، ص30
[4] م ن، ص31

والذي نستطيع أن ننتهي إليه حول التركيب الاجتماعي والاقتصادي والديني للمجتمع الجاهلي أنه كان مجتمع تسوده روح التطرف، فهم أحرار وعبيد وأغنياء وفقراء وأعزة وقطاع طرق، إلى أن جاء دين واحد وحد بين هذه القبائل وجعلها تقف موقفا موحدا أمام الإمبراطوريات العالمية.

يؤكد المؤلف أن العرب قد وحد بينهم دين واحد، وكان دينا قويا يهدي إلى الصواب ويرحب بمن يريدون الدخول فيه[1].

وتتبعا لما قاله المؤلف أن العرب قد وحد بينهم دين واحد فهذا صحيح، لأن الدولة الإسلامية اعتمدت على الإسلام واعتبرته الأساس والعامل الهام في بناء ملامح المجتمع الإسلامي، فكانت جميع أنظمته متصلة بالدين الإسلامي، ذلك إن المسلمين انتهجوا الإسلام كمبدأ للدين والدنيا[2].

والعقيدة الإسلامية هي أول عقيدة تنادي بالإله الواحد لا شريك له فهو، وحده الذي يعبد، ولا يستعان بأحد إلا هو، قوله تعالى:" **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** "[3]، والوحدانية هي التي رفعت مستوى الإنسان، وحررت الجماهير من طغيان الملوك والأشراف، ورجال الدين، وصححت العلاقة بين الحاكمين والمحكومين، ومن هنا تميز الدين الإسلامي عن باقي الديانات الأخرى الذي يخلو من مظاهر الوثنية، وفلسفتها وآدابها في العقيدة، ويسعى هذا الدين إلى تحقيق الخير للإنسان في الدنيا والآخرة والرحمة به، والحفاظ على كرامته والنهوض بمثواه الروحي والفكري رغم تنوع أعراقه ومواطنه[4].

---

[1] رالف لينتون "شجرة الحضارة"، ج2،ص430

[2] حسان حلاق "دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية"،دار النهضة العربية،ط2،بيروت،1999،ص12

[3] الفاتحة: الآية 05

[4] إسماعيل سامعي "معالم الحضارة العربية الإسلامية"، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، الجزائر،2007، ص45

لقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ "[1].

ونستخلص من آراء العلماء أن: الدّين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي وحد بين أفراد أمة تسلطتها العصبية القبلية، وشتتها عادات ومعتقدات أديان مختلفة، فجاء الإسلام رحمة للإنسان إذ حرره من العبودية والتملك.

ولا شك أن كثيرا من الغزوات العربية الأولى كانت تحمل في طياتها ثورة اجتماعية هيأت للعامة من الناس فرصا أفضل مما كان ميسورا لهم في ظل النظم القائمة في الإمبراطوريات القديمة[2].

وتأكيدا لقول المؤلف أن كل من يتبع الإسلام دينا يصبح أخا للمسلمين فهذا صحيح: لأن الإسلام أنزل للأمة أجمعين وفتح صدره لكل من يتبعه دينا، وبذلك يصبح أخ للمسلمين، لأن الدّين الإسلامي دين تساوي لا يفرق بين العربي ولا العجمي فهو للناس كافة، وصور المؤلف الغزوات العربية الأولى على أنها ثورة اجتماعية فهذا صحيح: لأن منبعها هو الدّين الإسلامي الذي قلب موازين الأمم.

يجمع المسلمون على أن رسالة الإسلام هي ختام الوحي الإلهي للبشر، وأن ما ورد في القرآن الكريم يعد منهاجا لحياة المسلمين في كل زمان ومكان، فهو يشمل العقيدة والاخلاق والتشريع، فالعقيدة تتعلق بقلب الإنسان ونفسه وفكره، وإن القيم الخلقية تبدأ في الظهور والتأثير حينما يتعلق الإنسان مع غيره ويبدأ الحكم على سلوكه إزاء الناس وكذلك فإن التشريع ينظم تعامل الناس على النطاق الاجتماعي[3].

---

[1] الحجرات: الآية 13

[2] رالف لينتون "شجرة الحضارة" ج2، ص430

[3] جمال الدين محمد محمود "أصول المجتمع الإسلامي"، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، 1996، ص11

وتبين هذه الثورة الاجتماعية التي أحدثها الإسلام في إقرار مبدأ المساواة بين الناس بينما كان في المجتمعات القديمة مبدأ التفرقة بين البشر هو الأصل، حيث كانت تفرق بين البشر حسب الجنس أو اللون أو العرق وبحسب الغنى والفقر، والقوة والضعف، وكان النّاس في هذه المجتمعات يقسمون إلى طبقات أهمها الأحرار والعبيد والطبقة الحاكمة والمحكومة عليها، وطبقة رجال الدين حتى نصل إلى المنبوذين في قاع المجتمع وهذا ما غيره الدّين الإسلامي[1]

فالمساواة عنصر هام في معادلة الاخوة ضمن تشكيلة المجتمع، ذلك أن المساواة هي أثر من آثار الأخوة المفروضة بين المسلمين، وهي أيضا أصل عظيم من أصول نظام المجتمع الإسلامي قال (صلى الله عليه وسلم):" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[2].

وتتجلى مظاهر المساواة في العقيدة، قال تعالى:" **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** "[3]، حيث أن عقيدة التوحيد واحدة تجسد وحدانية الله سبحانه وتعالى.

والإسلام يدعو إلى احترام ذوي العقائد، وينهي عن مضايقة غير المسلم في عقيدته ومبادئه التي يؤمن بها وماله، وبذلك يضمن حرية المعتقد.

وكذلك احترم الإسلام طقوس الأديان، ومعابدها وعدم المساس بها وحث على احترام الذميين وأموالهم وحمايتهم حتى لو كان مال الذمي حرام[4].

---

[1] م ن، ص13
[2] أخرجه البخاري ومسلم في كتاب الإيمان
[3] البقرة:136
[4] اسماعيل سامعي، م س، ص56

وهكذا تعايشت في ظل الأمة الإسلامية جميع العقائد، وأصحاب الديانات السماوية والوصعية في حرية وأمن ومساواة تامة، فهذه هي المبادئ التي ارتكزت عليها الدولة الإسلامية، والتي غابت في المجتمعات الأخرى.

# الفصل الثاني

## تفسير الوحي

- السّيرة النبوية
- القرآن الكريم

# السّيرة النبوية:

" والدّيانة المحمّدية والأفضل أن تسمى الديانة الإسلامية أو الإسلام بعد أن بما كان يعلّمه محمد لأتباعه"[1] هذا ما أشار إليه المؤلف رالف لينتون بنسبة الدين إلى "محمد" فيقول الدّيانة المحّمدية باعتبار أن محمدا ( صلى الله عليه و سلم ) مصلح أو مفكر لا كني مبعوث من الله إلى البشر.

وفيما يقول:" فقد ولد في مكة في عام 570 ميلادية من عائلة ذات مركز حسن ولكن أباه مات قبل ولادته كما ماتت أمه عندما كان في السادسة من عمره"[2].

كان عبد المطلب قد تجاوز السبعين وكان ابنه عبد الله في الرابعة والعشرين من عمره، فرأى أن يزوجه فاختار له آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة سيد بني زهرة إذ ذاك سنا وشرفا، وخرج به حتى أتى منازل بني زهرة وحل عند وهب وخطب له ابنته، ويذهب بعض المؤرخين أنه خطبها من عمها لأن أباها كان هلك، وأقام عبد الله مع آمنة في بيت أهلها ثلاثة أيام ثم عادا إلى منازل عبد المطلب، و لم يعم معها طويلا إذ خرج في تجارة إلى الشام وتركها حاملا.

ومكث عبد الله في رحلته هذه الأشهر التي يقتضيها الذهاب إلى غزة والعودة منها، ثم عرّج على أخواله بالمدينة ليستريح عندهم، لكنه مرض عندهم فتركه رفاقه، حتى إذا بلغوا مكة أخبروا أباه بمرضه، و لم يلبث عبد المطلب حيث سمع منهم، و أوفد الحارث ابنه الأكبر بنيه إلى المدينة ليعود بأخيه، وعلم الحارث حيث بلغ المدينة، أن عبد الله مات ودفن بها بعد شهر من مسير القافلة إلى مكة، فرجع أدراجه ينعي أخاه إلى أهله ويثير من قلب عبد المطلب وقلب آمنة هما[3].

---

[1] رالف لينتون"شجرة الحضارة"، ج 2، ص 430

[2] م ن، ص430

[3] محمد مصطفى المراغي"حياة الرسول"، د ط، د ب، د ت، ص 125

وتقدمت بآمنة أشهر الحمل، حتى وضعت كما تضع كل أنثى، فلما تم لها الوضع، بعثت إلى عبد المطلب عند الكعبة تخبره أنه ولد له غلام، وفاض بالشيخ السّرور حين بلغه الخبر، وأسرع إلى زوج ابنه وأخذ طفلها بين يديه، و سار حتى الكعبة وسماه محمدا، وقيل له "ما سميت طفلك"، فقال:"محمدا"، فقيل له: "كيف سميته باسم ليس لأحد من أبنائك وقومك؟"، فقال: إني أرجو أن يحمده أهل الأرض كلهم، وذلك حسبما يروي السهيلي لرؤيا كان قد رآها عبد المطلب، وقد ذكر حديثا علي القيرواني في كتاب "البستان" قال:"كان عبد المطلب قد رأى في نومه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء، وطرف في الأرض، وطرف في الشرق، وطرف في الغرب، ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور، وإذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها"، فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والأرض.

فلذلك سماه: محمدا، وسمته أمه من قبل: أحمد وهو محمد صلى الله عليه وسلم[1]،وولد النبي(صلى الله عليه وسلم) عام الفيل 570 واختلف المؤرخون في تاريخ مولد النبي إذ يقول ابن عباس إنه ولد يوم الفيل، ويقول آخرون إنه ولد قبل الفيل بخمس عشرة سنة، ويذهب غيرهم إلى أنه ولد بعد الفيل بأيام أو أشهر أو سنين.

ويزيد ابن عباس رضي الله عنه أنه ولد يوم الاثنين، وهذا مالا خلاف فيه وأبعد بل أخطأ من قال ولد الجمعة لسبع عشرة خلت من ربيع الأول، نقله بن اخيه فيما قرأه في كتاب "أعلام الرؤى بأعلام الهدى" لبعض الشيعة.

وقال ابن إسحاق ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن جابر وابن عباس أنهما قالا: ولد الرّسول (ص) عام الفيل يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول[2].

[1] عبد الحليم محمود "الرسول صلى الله عليه وسلم"، دار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت، 1980، ص38

[2] محمد كنعان"السيرة النبوية و المعجزات خلاصة تاريخ بن كثير"، مؤسسة المعارف، ط 1، بيروت- لبنان، 1996، ص 16

ويقول المؤلف:"كانت طفولته غير مستقرة وصعبة، لأن الطفل اليتيم كثيرا ما كان يذهب ليقيم عند مختلف المرضعات والأقارب"[1].

حكم على طفولة محمد (صلى الله عليه وسلم) بأنها كانت غير مستقرة وصعبة بسبب كثرة واختلاف المرضعات، وكثرة الأقارب الذين اضطر بحكم يتمه إلى إقامة عندهم.

واتباعا لسيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) فأني أوافق المؤلف حول مسألة تعدد مرضعاته، و هذا من عادة العرب أن يرضعوا أبناءهم خارج مكة، فيرضعوه في الصحراء المنطلقة مكانا وجوا ليصبحوا في صحة تامة، جسما وعقلا ، قد أرضعته أمه أياما ثلاثة وكانت أم أيمن تحضنه، وأرضعته مع أمه (عليه السّلام) مولاة عمه أبي لهب ثويبة قبل حليمة السعدية.[2]

وقال ابن إسحاق في حديث عن حليمة بنت الحارث أنها قالت: قدمت مكة في نسوة وذكر الواقدي بإسناده أنهن كنّ عشر نسوة من بني سعد نلتمس بها الرضعاء، قالت: فلقد أذممت بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفا وعجفا، فقدمنا مكة، فو الله ما علمت منا امرأة، إلا وقد عرض عليها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا قيل: إنه يتيم تركناه وقلنا: ماذا عسى أن تصنع إلينا أمه؟ انما نرجوا المعروف من أبي الولد، فأما أمه ماذا عسى أن تصنع الينا؟ فوالله ما بقى من صواحبي امرأة إلا أخذت رضيعا غيري، فلما لم نجد غيره وأجمعنا الانطلاق، قلت لزوجي الحارث بن العزى: والله أني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ليس معي رضيع، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه، فقال: لا عليك أن تفعلي، فعسى أن يجعل الله لنا فيه بركة، فما هو إلا أن أخذته فجئت به رحلي، فأقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روى وشرب أخوه حتى روي، فقال صاحبي حين أصبحنا: يا حليمة والله إني لا أراك قد أخذت نسمة مباركة. ألم ترى ما تبنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه؟، فلم يزل الله يرينا البركة نتعرفها حتى بلغ سنتين، فوالله ما بلغ السنتين حتى كان غلاما جفرا، فقدمنا به الى أمه، و لم يمكث عندها عامين فقط ذلك أنها على رأس العامين ذهبت به إلى مكة لتراه أمه وليراه جده ثم عادت به فأقام عندها شهرين أو ثلاثة أشهر ثم عادت به إلى أمه[3].

---

[1] رالف لينتون "شجرة الحضارة" ج2، ص 430

[2] عبد الحليم محمود، م س، ص41.

[3] أبي الفداء اسماعيل بن كثير "السيرة النبوية"، تحقيق مصطفى عبد الواحد، مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركائه، القاهرة، 1964، ج 1، ص 225

ومن هنا تبين أن رضاعته الاساسية كانت من حليمة السعدية، وهذه من عادات قريش وغيرهم من أشراف العرب أن يدفعوا أطفالهم إلى المراضع بأن ينشأ الطفل في الأعراب، فيكون ذلك أفصح للسانه، وأجلد لجسمه، وأجدر أن يتعود الخشونة، وقال ابن إسحاق: وكان رسول الله يقول لأصحابه " أنا أعربكم، أنا قريشي واسترضعت في بني سعد بن بكر"[1].

فإذا لا يعدّ اتصال محمد( صلىالله وسلم) بالمراضع مظهرا من مظاهر عدم استقرار طفولته، وإنما كان ذلك تمشيا مع عادة الأشراف من قومه .

أما فيما يتعلق بتنقل محمد بين عدة أقارب[2]، نرى في تاريخه: أن امّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) آمنة توفيت ورسول الله ابن ست سنين بالأبواء، بين مكة والمدينة، كانت قد قدمت به على أخواله من بني عديّ بن النجّار، تزيره إيّاهم، فماتت وهي راجعة إلى مكة.

و أصبح رسول الله ( صلى الله عليه و سلم ) مع جدّه عبد المطلب بن هشام، و كان يوضع لعبد المطلب فراشا في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه، فيأخذه أعمامه ليخرجوه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم، دعوا بني، فوالله إن له شأنا ثم يجلسه على الفراش، و يمسح ظهره بيده، و يسر ما يراه يصنع.

فلما بلغ الرّسول ( صلى الله عليه و سلم ) ثماني سنين هلك عبد المطلب بن هاشم فأصبح الرّسول مع عمّه أبي طالب من بعد جدّه، و لم يكن أبو طالب أكبر الأعمام سنا، و لا أغناهم، ولكنه كان أنبلهم وأكرمهم في قريش مكانة واحتراما، وكان عبد المطلب يوصي به عمّه أبا طالب، وذلك لأن عبد الله أبا الرّسول و أبا طالب أخوان لأب و أم، فلذلك عهد اليه عبد المطلب بكفالة محمد ( صلى الله عليه وسلم) من بعده[3] .

---

[1] م ن، ص 225

[2] رالف لينتون"شجرة الحضارة"، ج 2، ص 430

[3] ابن هشام"السّيرة النبوية"، دار الكرز الأدبية، القاهرة، 1355ه، ج 1، ص 168

فإذا اتصاله بالأقارب في طفولته لم يسبب له اضطرابا كما يقول المؤلف، بل كان على نحو كريم، وهذا ما يعبر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى: **أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى** "[1] .

يشير المؤلف رالف لينتون بقوله:" و في السنوات الأولى من سن المراهقة كان يعمل راعيا فأصبح لديه وقت كبير لاطالة التأمل و التفكير"[2] .

و يقول الرّسول ( صلى الله عليه و سلم ) : " ما من نبي إلا رعى الغنم"، و كان مجتمع مكة أنذاك مجتمع الصفوة من الأغنياء و المترفين و التّجار الذين يعملون في الرّحلات التجارية بين مكة و الشام و اليمن، و أورثتهم هذه الحياة السأم و الملل من الترف الذي يعيشه الأبناء و الآباء، فكان لابد إلى الحياة الطلقة الهادئة البسيطة.

فاحترف محمد هذه الحرفة بعد أن رعي الغنم في ديار بني سعد طفلا صغيرا، ورعاها في مكة طفلا كبيرا ويجد في رعي الغنم متعة فهو يصله بالسماء وبالله، وبالكون العظيم.

ووجد رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) في رحلته مع قطعان الغنم يرعاها في شعاب مكة صلة وثيقة بالله وبالإيمان وبشريعة التوحيد، وهذه الحرفة تستلزم العزلة في البادية، والعزلة تستلزم التفكير فأفادته كثيرا في نمو عقله[3].

- تحدث المؤلف عن حرب دينية محلية خاضها الرّسول ( صلى الله عليه وسلم ) وهو في السابعة عشر من عمره أثناء رحلته مع عمه الى سوريا[4] ، والمعروف أن الرّسول ذهب مع عمه إلى الشام في رحلتين متباعدتين عن بعضهما:

فالرحلة الأولى: قال ابن إسحاق: ثم أبا طالب خرج في ركب تاجرا الى الشام فلما تهيأ للرحيل وأجمع السير، صبّ به الرّسول ( الله صلى الله عليه وسلم )، فخرج به و عمره الثانية عشر، فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام، وبها راهب يقال له بحيري في صومعة له، ولما نزلوا ذلك العام بيحيري وكانوا كثيرا ما يمرون به فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام، فلما نزلوا قريبا في صومعته صنع لهم طعاما كثيرا، حيث يزعمون أنه رأى رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) في الركب حتى أقبل وغمامة

---

[1] الضحى: الآية 6

[2] رالف لينتون" شجرة الحضارة"، ج 2، ص 430

[3] محمد عبد المنعم خفاجي" عظمة الشخصية المحمدية "، دار الوفاء، ط 1، الإسكندرية، 2002، ص 34

[4] رالف لينتون " شجرة الحضارة"، ج 2، ص 430

تظلّله من بين القوم، ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريبا منه، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله ( صلى الله عليه و سلم ) حتى استظل تحتها، فلما رأى ذلك[1] بحيري نزل من صومعته وقد أمر بطعام فصنع، ثم أرسل إليهم فقال: إني صنعت لكم طعاما يا معشر قريش، فأنا أحب أن تحضروا كلم، كبيركم وصغيركم، وعبدكم وحركم.

فلما رآه بحيري جعل يلحظه لحظا شديدا، وينظر إلى أشياء من جسده، قد كان يجدها عنده من صفته، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بحيري وقال له: يا غلام، تم جعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه، وهيئته وأموره فجعل الرّسول يخبره، فوافق ذلك ما عند بحيري من صفته ثم نظر إلى ظهوره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه، فلمّا فرغ أقبل على عمه أبي طالب وقال له: ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرّا فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به إلى بلاده.

فخرج به عمه أبو طالب سريعا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام[2].

- أما الحرب التي خاضها محمد ووصفها المؤلف بأنها "حرب دينية" و هو في السابعة عشر[3]، الحرب التي تحدث عنها المؤلف هي الحرب المعروفة بحرب "الفجار" بكسر الفاء على وزن "قتال".

قال ابن هشام: فلما بلغ رسول الله (صلى الله عيه وسلم) أربع عشرة سنة، أو خمس عشرة سنة، فيما حدثني أبو عبيدة النحوي، عن أبي عمرو بن العلاء، هاجت حرب الفجار بين قريش، ومن معها من كنانة، وبين قيس عيلان، وكان الذي هاجها: أن عروة الرحّال بن عتبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، أجار لطيمة أي تجارة للنعمان بن المنذر، فقال البرّاض بن قيس بن كنانة: أتجيرها على كنانة؟ قال: نعم وعلى الخلق، وخرج البرّاض فقتله في الشهر الحرام فلذلك سميت "الفجار"، فأتى آت قريشا فقال: إن البرّاض قد قتل عروة، وهو في الشهر الحرام بعكاظ. فارتحلوا وهوازن لا تشعر بهم، ثم بلغهم الخبر فاتبعوهم فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم، حيث شهد رسول الله(صلى الله عليه وسلم) بعد أيامهم، أخرجه أعمامه معهم[4] وقال رسول الله (صلى الله

---

[1] ابن كثير، م س، ص 245
[2] ابن كثير، م ن، ص245
[3] رالف لينتون "شجرة الحضارة" ج2، ص430
[4] ابن كثير، م س، ص 247

عليه وسلم):" كنت أنبِّل على أعمامي" أي أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها، و اختلف في سن الرّسول( صلى الله عليه و سلم ) بين خمس عشرة سنة لأن هذه الحرب طالت و ظلت تقع بين الفريقين نحو أربع سنوات وهكذا كان الرسول ما بين الخمسة عشرة والعشرين[1].

وكلتا الحالتين لم يكن الرسول (صلى الله عليه وسلم) في السابعة عشرة من عمره كما قال المؤلف .

- وفيما يقوله المؤلف عندما أصبح في الرابعة والعشرين كان ينوب عن أرملة غنية وهي السّيدة خديجة[3].

قال ابن إسحاق: وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرّجال على مالها، فلما بلغها عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه، بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج لها في مال تاجرا إلى الشام وتعطيه أفضل ما تعطي غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة، فلما قدم من الشام إلى مكة على خديجة بمالها باعت مضعفا، وحدثها ميسرة عن قول الراهب، وعما كان يرى من إظلال الملائكة إياه .

وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة، مع ما أراد الله بها من كرامتها وكانت أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهن شرفا وأكثرهن مالا، حيث عرضت نفسها عليه، فلما قالت ذلك لرسول الله(صلى الله عليه وسلم) ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه عمه حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه فتزوجها وهو في الخامسة والعشرين والمعروف أنه خرج في تجارتها قبل أن يتزوجها بشهرين وأربع وعشرين يوم، وليس مثل ما قال المؤلف خرج في تجارة خديجة وهو في الأربع والعشرين من عمره، وبعد عام تزوجها . صحيح أنها قد تزوجت قبل محمد مرتين. زوجها الأول" عتيق بن عائدا" وزوجها الثاني"أبو هالة هند بن زرارة" وأخيرا تزوجها الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولم يتزوج عليها حتى ماتت.

قال ابن إسحاق: فولدت لرسول الله(صلى الله عليه وسلم): القاسم وكان به يكنى و الطيب والطاهرة، وزينب ورقية ، وأم كلثوم، وفاطمة، ويقال أن:"الطاهر والطيب" اسم لولد واحد اسمه "عبد الله"[4].

---

[1] محمد بن أحمد كنعان، م س، ص 28

[2] رالف لينتون "شجرة الحضارة" ج2، ص430

[3] ابن كثير، م س، ص 262-263

وكان الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) أمينا على نفسه، فلم يسلّمها إلى مهاوي الشّرك أو الشّهوة أو الرّجس، وكان أمينا على النّاس فلم ينتهك عرضا، ولم يوقع بعض الناس بالنميمة، وكان أمينا على الحديث إذا تحدث فلا كذب، وأجمع عليها القرشيون.

وما قاله المؤلف من أن الوحي جاءه وهو في الأربعين من عمره فإن الدراسات تؤكد قول رالف لينتون[1]، وكان من عادة العرب ينقطع مفطروهم للعبادة زمنا في كل عام يقضونه بعيدا عن الناس في خلوة، يتقربون إلى آلهتهم بالزهد والدعاء، وقد وجد فيه خير ما يمكنه من الإمعان فيما شغلت به ننفسه من تفكير وتأمل ، كما وجد فيه طمأنينة نفسه وشفاء شغفه بالوحدة ، وكان بأعلى جبل حراء على فرسخين من شمال مكة ، غار هو خير ما يصلح للانقطاع، فكان يذهب إليه طول شهر رمضان من كل سنة يقيم به، مكتفيا بالقليل من الزاد يحمل إليه ممعنا في التأمل والعبادة ، بعيدا عن ضجة النّاس وضوضاء الحياة، ملتمسا الحقّ، وكان يشتد به التّأمل ابتغاء الحقيقة، حتى كان ينسى نفسه وينسى طعامه وكل ما في الحياة، وكان إذا استدار العام وجاء شهر رمضان ذهب إلى حراء، وعاد الى تفكيره ينصحه شيئا فشيئا، و صار يرى في نومه الرّؤيا الصادقة تنبلج أثناءها أمام باصرته أنوار الحقيقة التي ينشد و يرى معها باطل الحياة و غرور زخرفها، زلما شارف محمد ( صلى الله عليه و سلم ) الأربعين ، وذهب إلى حراء وقد امتلأت نفسه ايمانا بما رأى في رؤاه الصادقة، واتجه بقلبه إلى الصراط المستقيم وإلى الحقيقة الخالدة، واتجه إلى الله بكل روحه أن يهدي قومه بعد أن ضربوا في تيهاء الضلال، وهو توجّهه هذا يقوم ويرهف ذهنه وقلبه ، ويعطيل الصّوم وتثور به تأملاته ، فينحدر زمن الغار إلى طرق الصحراء ، ثم يعود إلى خلوته ليعود فيمتحن ما يدور بذهنه وما تبين له في رؤاه ولقد طالت به الحال ستر أشهر ، حتى خشي على نفسه عاقبة أمره ، فأسّر بمخاوفه إلى خديجة وأظهرها ما يرى وأنه يخاف عبث الجن ، فطمأنته الزوج المخلصة الوفيّة، وجعلت تحدثه بأنه الأمين وبأن الجن لا يمكن أن يتقرب منه[2] .

---

[1] رالف لينتون "شجرة الحضارة" ج2، ص431.
[2] محمد مصطفى المراغي، م س، ص 146

وفيما هو نائم بالغار يوما جاءه ملك وفي يده صحيفة فقال له: اقرأ فأجاب مأخوذا : ما أقرأ ، فأحس، كأن الملك يخنقه ثم يرسله ويقول له: اقرأ ، قال محمد: ما أقرأ ، فأحس كأن الملك يخنقه [1] مرة أخرى، ثم يرسله ويقول : اقرأ ، قال محمد وقد خاف أن يخنق مرة أخرى، ماذا أقرأ ؟ قال الملك: "اقرأ باسم ربك الأكرم الذي خلق، خلق الانسان من علق..." فقرأها وانصرف الملك عنه وقد نقشت في قلبه[2].

أما فيما يقول : واجتذب الوحي الذي نزل على محمد عددا من الأتباع وبدأ يبشر بين الناس ويدخل آخرون في الدين الجديد [3] .

قصد المؤلف بالأتباع أي الأوائل من دخلوا في الاسلام، وعلما ما أنّ الرّسول مكث فترة من الزمن بعد أن جاءه جبريل بغار حراء لا يرى شيئا، فصار يذهب إلى جبل مكة شوقا إلى مشاهدة وحي الله، ثم ظهر له الملك الذي جاءه أوّلا بين السماء و الأرض وبشره أنه رسول الله حقا، ثم أمره الله تعالى أن يندر قومه ويدعوهم إلى الله عز وجل في الآية : "يا أيها المدثر، قم فأنذر، وربك فكبر ، وثيابك فطهر" ، فأخذ يقضي بالدعوة الاسلامية للمختصين به كزوجته خديجة، وابن عمه علي بن أبي طالب ومولاه زيد بن حارثة الكلبي، ثم استجاب له أبو بكر عبد الله ابن أبي قحافة القرشي التيمي وأسلم على يده عثمان بن عفان بن أبي العّاص بن أمية وغيرهم من المسلمين.

وظل الرّسول ثلا ث سنين يدعو إلى الاسلام سرا كل من يثق فيه ويطمئن إلى استعداده النفسي لقبول مبادئه، إلى أن أمره الله بإظهار دينه فيما أنزل عليه.

لما بلغ القرشيين ما أكرم الله به رسوله (صلى الله عليه وسلم) من النبوة، فلم ينكروا عليه شيئا من دعوته حتى عاب آلهتهم ، فأظهروا استياءهم من جهره بالدعوة إلى وحدانية الله خشية القضاء على عبادة الأوثان التي كان وجودها في الكعبة مصدرا لثرائهم، فعملوا على مناهضته وعادوه[4].

---

[1] م ن، ص 147

[2] م ن ، ص148.

[3] رالف لينتون "شجرة الحضارة"، ج2، ص431.

[4] محمد جمال الدّين سرور"قيام الدّولة العربية الأسلامية في حياة محمد صلى الله عليه و سلم"، دار الفكر العربي، دط، القاهرة، 2000، ص 64

ولما أحسّوا أن أبا طالب عمّ الرّسول لم يتعرض لدعوته بل ظل يعطف عليه ويحرص على صد كل أذى عنه، سار إليه فريق من أشرافهم يسألونه أن يكف عنهم رسول الله ، وقالوا له: " إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آبائنا ، فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن من خلافه "، فرّد عليهم أبو طالب ردّا جميلا، فانصرفوا عنه ومضى رسول الله ينشر دعوته، ولما ذاعت دعوة الرّسول بين أهالي مكة وكثر التحدث عنه بين القرشيين، وصار يحرض بعضهم بعضا عليه ثم استقر رأيهم على أن يشكوه عنه أبي طالب لعله ينصرف عن التعرض لمعبوداتهم ، ولكم العمّ كان يصون الرّسول ويرفع عنه الأذى.

واصلت قريش سياستها في مناهضة الدّعوة الاسلامية، فعهدت إلى بعض أفرادها بمهاجمة المسلمين وقبائلهم والحاق الأذى بهم ليفتنوهم عن دينهم.

والحقيقة أن العداوة لم تكن بين عائلة وعائلة كما قرّر المؤلف أن الذين كانوا قد دبروا اغتيال محمد هم جماعة قوية ممن كانوا يكرهون عائلته، ورأوا في تعاليمه ما يهدد تجارة الحج، وإنما كانت عداوة بسبب الدّعوة الدّينية. وإن الجماعة التي حاولت اغتيال محمد ( صلى الله عليه و سلم) كانت مؤلفة من عدد كبير من فتيان القبائل المختلفة ، والسّر في رغبة قريش في أن يتفرق دم محمد( صلى الله عليه و سلم ) في القبائل حين يطعنه كل هؤلاء الفتيان فيشتركوا جميعا في قتله[1].

يقول المؤلف هاجر محمد والجماعة المخلصة القليلة من أتباعه إلى المدينة عام 622 وهو تاريخ هام لا يجب أن ننساه لأنه عام الهجرة الذي يؤرخ به المسلمين[2].

ففي هذه المسألة لا يمكن أن نخالف المؤلف لأن عام 622 هو تاريخ الهجرة، ولكن المعروف أن أتباع الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) هاجروا قبل الرّسول، وأن الرّسول هاجر هو وأبو بكر فقط . حيث كان أبو بكر يستأذن رسول الله في الهجرة، فيقول له رسول الله لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا ، فطمع أبو بكر بأن يكون صاحب الرّسول في الهجرة ، ولما أذن الله لرسوله بالهجرة ذهب إلى أبي بكر وقال له ( صلى الله عليه وسلم) إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة ، فقال أبو بكر :[3]

---

[1] م ن، ص 65

[2] رالف لينتون "شجرة الحضارة" ج2، ص431.

[3] محمد عبد المنعم خفاجي، م س، ص 108

الصّحبة يا رسول الله، قال (صلى الله عليه وسلم) الصّحبة ، ولم يعلم أحد بهجرة رسول الله إلاّ عليّ وأبي بكر وبنيه، وأقام رسول الله وصاحبه في الغار ثلاثة أيام بلياليها، ثم خرج من الغار في صباح يوم الاثنين ربيع الأول سنة 1هـ، متوجها من مكة إلى المدينة[1].

يصور المؤلف ترحيب سكان المدينة بمحمد على أنه كان ناشئا عن المنافسة القديمة لمكة وانهم أرادوا بذلك أن يتخذوا منه مواطنا لهم يخلق المتاعب لمدينته التي فر منها[2].

والواقع أن المدنيين كانوا مؤمنين بالدّعوة الاسلامية إيمانا عميقا، ويمكن إدراك ذلك فيما فعله سكان المدينة لما سمعوا بمخرج الرسول، فقال قائل: فوالله لا نبرح حتى تغلبنا الشّمس على الظلال فإذا لم نجد ظلا دخلنا ، وذلك في أيام حارة ، حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، جلسنا كما كنا نجلس ، حتى إذا لم يبق ظل خلنا بيوتنا ، وقدم رسول الله (صلى الله وعليه وسلم) حين دخلنا البيوت ، فكان أول من رآه رجل من اليهود وقد رأى ما كنا نضع ، فصرخ بأعلى صوته : يا بني قيلة،هذا جدّكم قد جاء، قال : فخرجنا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وهو في ظل نخلة ومعه أبو بكر-رضي الله عنه-في مثل سنه، وأكثرنا لم يكن رأى الرسول قبل ذلك ، فما عرفناه من أبي بكر ، حتى زال الظّل عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقام أبو بكر فأظلّه برداءه فعرفناه عند ذلك[3].

استطاع الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعد هجرته إلى المدينة أن يجعل سكانها من المسلمين يتطلعون زعيما وقائدا ولا يعترفون بسلطان غير سلطانه ولما جمع شملهم ونظم أمورهم واصل جهاده في سبيل الله، وكان المهاجرون والأنصار خير عون في نشر دعوته وكان جهاده في سبيل الله مواجهة إلى القرشيين بمكة الذين احتفظوا بالوثنية وناصبوا المسلمين العداء ونشبت عدّة معارك بينهما حيث حزت كيان كل من المدنيين والقرشيين[4].

---

[1] ابن هشام، م س، ص 492
[2] رالف لينتون "الشجرة الحضارة" ج2، ص432
[3] محمد جمال سرور، م س، ص 84
[4] م ن، ص 87

بقول المؤلف ونشبت عدّة مواقع بسيطة بين مكة والمدينة وأخيرا جمع المكيون جيشا كبيرا محاولين الاستيلاء على المدينة في حرب الخندق [1]، وإنما أول معركة عرفها المسلمون هي موقعة بدر، ويرجع السّبب في وقوع هذه الموقعة أن الرّسول (صلى الله عليه وسلم) كان قد ندب نفرا من المسلمين للوقوف على أخبار قافلة قريش وهي قادمة من الشام إلى مكة، ولما علمت قريش بالخطر الذي يهدد تجارتهم فاستولى عليهم الذعر والخوف، فخرجوا من مكة بدون تعبئة منظمة، فاتجهت نحو بدر وكان الرّسول ( صلى الله عليه وسلم ) قد خرج من المدينة مع أصحابه من المهاجرين والأنصار إلى بدر.

وقد أسفرت واقعة بدر عن انتصار المسلمين على قريش وكان لهذا النصر نتائج بعيدة الأثر فدخل في الاسلام كثير من المشركين ، كما ضعفت شوكة اليهود و المنافقين حتى لم يبق يهودي ولا منافق في المدينة إلاّ وقل كبرياؤه.

وأما الواقعة الثانية هي غزوة أحد حيث هزم فيه المسلمون هزيمة شديدة لأنهم خالفوا أوامر الرّسول (صلى الله عليه وسلم) حيث جعل جماعة من الرماة من خلفه، وأمرهم أن يحموا ظهورهم وأن لا يردوا مكانهم، وعندما ابتدأت الواقعة بهجوم من جيش المسلمين على كتائب المشركين حتى اختلت صفوفهم وولوا منهزمين فتبعهم المسلمون وأخذوا يجمعون ما وجدوه من الغنائم فلما رأوا الرماة رسول الله وأصحابه متقدمين في جوف عسكر المشركين، تركوا أماكنهم وسارعوا إلى جمع الغنائم ، فعاود المشركون الهجوم بعد تفرقهم وحاصروا المسلمين من كل جهة ، وتعلموا من هذه الهزيمة طاعة الرّسول وعدم الخروج على أمره.

أما الغزوة التي جمع فيها المكيون جيشا كبيرا فهي غزوة الخندق ، وتسمى أيضا غزوة الأحزاب ووقعت هذه الغزوة في السّنة الخامسة للهجرة وأطلق عليها اسم الخندق للظاهرة العربية التي امتازت بها عن سائر الغزوات، فقد أحاط الرّسول فيها المدينة بخندق ليعون دون مهاجمتها ويصد به العدو ، كما عرفت أيضا بغزوة الأحزاب لانضمام جماعات من القبائل العربية[2] .

---

[1] رالف لينتون "شجرة الحضارة" ج2، ص432

[2] محمد جمال سرور، م س، ض 88

واليهودية إلى قريش في محاربة المسلمين، ولما علم الرّسول بخروج قريش وحلفائها إلى المدينة وكثرة عددهم، دع المسلمون وأخبرهم بما وصل إليه أمر العدو، وشاورهم أ يخرج من المدينة أو يظل بها، فكان الرّأي الأغلب ألاّ يخرجوا إلى عدوهم، وأن يلتزموا خطة الدّفاع، ولما رأى سلمان الفارسي أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم ) يهم بالمقام في المدينة حتى يرد إليها الأعداء فيحاربهم، أشار عليه بحفر خندق حول المدينة، فأعجب الرّسول بهذا الرأي وركب مع بعض أصحابه ليرتاد موضعا يترله ، فرأى أن يترل بسفح سلع ودلهم على الموضع الذي ارتاد لهم لحفر الخندق، وعين لكل قبيلة حدا يحفرون إليه ، واشتغل معهم بنفسه في الحفر وجعل للخندق أبوابا عهد بحراستها إلى نفر من المسلمين، غير أن رجوع المكيين والانهزام كان سبب الإنقلاب الذي حدث في صفوف اليهود والقبائل وانصرافها عن دعم القرشيين، وحدوث انقلاب جوي وعواصف شديدة اقتلعت خيامهم وشتتهم.

ولاشك أنه كان لفشل الأحزاب ورجوعهم عن المدينة منهزمين أثر عظيم في نفوس المسلمين والعرب كافة، فقد تبين لهم أن المدينة لا تؤخذ عنوة وإن حشرت لها آلاف الجنود.

وبعد هذا النصر الذي لم يرق فيه دم، زادت الثقة والطمأنينة في المسلمين وإن كان قد دعا إلى السخرية في وسيط المشكرين والوثنيين ، ولم يعد أحد يشك في قوة محمد في بلاد العرب.

ودخل النبي مكة فاتحا[1]. بعد نزول سورة الفتح: " **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا .لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ** مِن **ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا** "[2].

إن آيات الفتح هذه نزلت أثناء عودة الرسول بعد صلح الحديبية سنة 628-6هـ نزلت تسلية للمسلمين، وقد حزنوا لصدهم عن دخول مكة حاجين معتمرين وقد نزلت تشير إلى فتح مكة وتبشر به ، وفي عام 630 دخلها الرّسول فاتحا بعد نقض قريش عهد الحديبية الذي وقع بين الفريقين[3].

[1] م ن، ص 98
[2] سورة الفتح: الآية 1-2
[3] م ن ،ص98.

وليس كما قال المؤلف الذي تحدث عن الاتفاق الذي وقع بينه وبين مكة في 630 بأن يسموحوا له بالعودة إلى مكة، مقابل أن يجعل هذه المدينة مركزا لديانته الجديدة[1]، فقد دخلها فاتحا منتصرا بجيش لم ترى قريش مثله، ودخل رسول الله (صلى الله عليه وسلم ) مكة دون مشقة، وكان أول ما فعل أن طاف بالبيت سبعا، و لما دخله رأى فيه صور الملائكة بهيئة النّساء، ورآى ابراهيم – عليه السلام– مصورا في يده الأزلام يستقسم بها، فقال قاتلهم الله جعلوا شيخا يستقسم بالأزلام ، ما شأن ابراهيم والأزلام؟ [2]

" **مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** "[3]، وأمر بطمس الصور كلها، واتجه إلى الأصنام فحطمها مردّدا قوله تعالى:" وقل جاء الحقّ وزهق الباطل، إنّ الباطل كان زهوقا"[4]، وبين أن الرياء شرك ، والهوى شرك، والخضوع للشهوات شرك، وكل عمل لا يقصد الإنسان به وجه الله فإنما هو من أعمال الشرك، وهكذا طهر الكعبة من الاصنام[5]، وكما يقول رالف لينتون حرم على أي حاج اللّهم إلاّ حجاج المؤمنين أن يدخلوا الكعبة [6].

فقدحدث ذلك في السنة التاسعة من الهجرة بعد أن نزل قوله تعالى: "**بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ**"[7]. قوله تعالى:" **وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ** "[8].

وبعث الرّسول (صلى الله عليه وسلم )عليّ –رضي الله عنه– بعد أبي بكر الصديق نيابة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليكون معه، و يتولى بنفسه إبلاغ البراءة من المشركين، نيابة عن الرّسول( صلى الله عليه و سلم ) لكونه ابن عمه من عصبته، إذ قال له: "أذّن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى، ألا إنه لا يدخل الجنة كافر ،ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.[9]

---

[1] رالف لينتون" شجرة الحضارة" ج2، ص 432
[2] عبد الحميد محمود، م س، ص 132
[3] آل عمران الآية 67
[4] الاسراء الآية 81
[5] عبد الحميد محمود ، م س ن ص137
[6] عبد الرالف لينتون "شجرة الحضارة" ج2، ص433
[7] التوبة: الآيات 1،2،3
[8] التوبة : الآية 29
[9] محمد بن أحمد كنعان، م س، ص 215

ومن كان له عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عهد فهو له إلى مدته"، ثم أجّل النّاس أربعة أشهر بعد ذلك اليوم ليرجع اليوم كل قوم إلى مأمنهم وبلادهم، وسمح لأهل الكتاب من اليهود والنصارى بأن يظلوا على دينهم على شرط أن يدفعوا الجزية[1].

ومات محمد بعد عامين من عودته إلى مكة ، مات وهو في سن الثانية والستين [2].

وهذا ما قاله المؤلف ولكن المعروف أن النبي (صلى الله عليه وسلم) مات وهو في الثالثة والستين، حسب ما روي مسلم عن أنس بن مالك قال:" قبض النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو ابن ثلاث وستين سنة "، وثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: "توفي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو ابن ثلاث وستين سنة"،وفي الصحيحين عن ابن عباس : "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث بمكة ثلاث عشرة وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة"[3].

ويؤكد رالف لينتون "أن العرب الذين كانوا على علم بتعاليم اليهود والنصارى وآرائهم أنهم ينقصهم شيء وذلك لأنه لم يكن لديهم عند موته كتاب مقدس أوحديث مكتوب"[4]، حيث حكم على العرب أنهم يجهلون الكتابة ولم يكن لهم شيء ملموس، غير أن الرّسول (صلى الله عليه وسلم) كان شديد العناية بكتابة الوحي، وأنّ العرب بدؤوا يتعلمون الكتابة على عهد الرّسول (صلى الله عليه وسلم) أي أنه كان يجعل أسيرا واحدا يعلم عشرة من المسلمين الكتابة، وأنه اتخذ له كتابا يكلفهم كتابة ما يترل من القرآن أولا بأول ، ومن هؤلاء زيد بن ثابت وعلي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود وأنس بن مالك، وأبي بن كعب وغيرهم من الكتّاب، كانوا يلازمون الرّسول دائما ويكتب كل منهم كما يترل، لأنه كثيرا منهم يخرجون في السرايا التي يبعث بها الرّسول إلى بعض الأعداء ، والذي قد نجد عند الواحد منهم من القرآن مالا نجده عند غيره، إلاّ أنّ بعضهم قد مكنته الظّروف من كتابة كل ما نزل، وهذا هو الجمع الكتابي، أما الجمع الحفظي [5]

---

[1] م ن، ص215.
[2] رالف لينتون "شجرة الحضارة" ج2،ص433.
[3] محمد بن أحمد كنعان، م س، ص313.
[4] رالف لينتون "شجرة الحضارة" ج2، ص434.
[5] ممد الزفزاف "التعريف بالقرآن والحديث"، المكتبة العلمية ،ط1، بيروت، لبنان، 1400-1980، ص73-74.

فكان عند الكثير منهم، وهذا يبين أنّ الرّسول وأصحابه كانوا جدّ معنيين في عهده (صلى الله عليه وسلم) بجمع القرآن ، حفظا وكتابة، ولكنه لم يجمع في عهده (صلى الله عليه وسلم) في مصحف واحد، بل كان صحفا منثورة لم يربطها خيط بين دفتين ، وهذه الصحف هي التي اعتمد عليها عند جمع القرآن الجمع الأول في عهد أبي بكر[1].

وهكذا يبين أن العرب تعلموا الكتابة والقراءة في حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم).

[1] م ن، ص 78

# القرآن الكريم

القرآن الكريم هو كلام الله المنزل على سيّدنا محمد (صلى الله عليه وسلم ): هو مجموعة من الآيات المنزلة منجمة بحسب الحوادث ومقتضيات الأحوال.

ويشير المؤلف أن محمدا قد نطق بجزء كبير منه عندما كان في حالة غيبوبة[1].

فإن كان يقصد بالغيبوبة ما كان يصاحب حالة نزول الوحي عليه من معاناة ومجاهدة فهذا صحيح. ولكن تلك المعاناة كانت تحدث وهو يوحي اليه و لكنه كان ينطق بها بعد أ يسري عنه وهذا يدل أنه لم يكن في حالة غيبوبة مثل ما قال المؤلف.

وتدل الكتابات أن أول ما نزل به جبريل – عليه السلام – في بدء رسالته سورة "العلق"، وأن آخر ما أنزل به سورة "المائدة" في حجة الوداع التي كانت قبل وفاة الرسول ببضع وثمانين يوما، وكان ينزل حسب الحوادث ، فقد كانوا يسألونه أحيانا عن شيء فنزل حكم الله فيه، وهكذا فإن القرآن الكريم نزل على نبينا ( صلى الله عليه وسلم ) وهو في كامل قواه العقلية[2].

إن لغة القرآن في مفرداتها وتراكيبها واصطلاحاتها وأساليبها لغة واضحة كل الوضوح ، وأنها أنزلت بلسان مبين أي واضح مفهوم وأن آياته قد فصلت تفصيلا، وأنه أنزل ليتدبره سامعوه ويعقلوه ويفهموه ويحلون به ما يختلفون فيه، كما أنه موجها إلى كل طبقة وفي كل زمان و مكان[3].

---

[1] رالف لينتون" شجرة الحضارة"، ج 2، ص 434

[2] محمد الزفزاف، م س، ص 32

[3] محمد عزة دروزه " القرآن المجيد ص، منشورات المكتبة العصرية، د ط، بيروت، د ت، ص 148

باعتباره هدى للنّاس كافة يؤمرون باتباع ما أنزل فيه و يعتبر مرجعهم في مختلف شؤونهم ومنه يستمدون تشريعاتهم وأخلاقهم ونذرهم وبشائرهم وحلول مشكلاتهم.

وقد احتوى نصوصا كثيرة تقرر ما هو عليه من وضوح وإبانة، و إحكام و تفصيل و يسر فهم وسهولة إدراك في معرض التنديد بالماكرين والجاحدين والمجادلين، وهذا إنما هو ملزم مفحم لأن اللّغة التي يسمعونها واضحة بينة مما ألفوه كل الألفة وليس فيها غموض ، ولا تعقيد و إشكال، و لا علو عن الإفهام، لا من ناحية النظم و اللّغة، و لا من ناحية المعنى والمفهوم والدلالة، فهي في غاية الدّقة والتّحرير[1].

وليست لغته شعرية مثل ما أقره المؤلف لأن لغة الشعر لا يفهمها كل من يقرؤها وإنما يتعذر على البعض فهم لغة الشعر وإنما القرآن منزل إلى كافة الناس.

يقول المؤلف: "وبالرغم من أن محمد لم يعش طويلا ليضع حدا نهائيا لكل ما استجد من مشاكل ، فإنه وضع أسس عقيدة ونظام قانوني أتمها من جاءوا بعده"[2] .

والمقصود من هذا ا الكلام أن محمدا وضع أسس عقيدة ونظام قانوني ، فما اتصل بالعقيدة قول لا يسهل التسليم به ، فإن العقائد هي الحقائق الايمانية التي لا يكون المسلم مسلما إلا بها، لأن الدّين الإسلامي يتكون من نظم ومبادئ ، أساسها الإيمان بالله ، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ومعنى هذا أنه يجب على الإنسان ليكون مسلما : عليه الإيمان بأن وراء هذا العالم المادي موجودا[3]

---

[1] م ن، ص 103

[2] رالف لينتون " شجرة الحضارة "، ج 2، ص 434

[3] محمود شلتوت " الفتاوى "، دار الشروق، ط 11، بيروت، 1982، ص 398

بوجود ذاتي غير مكتسب، قادرا، عالما، مدبرا ، هو مصدر الخلق والإيحاء في هذا العالم، مصدر الهداية البشرية "لا إله إلا هو يحي ويميت".

وأنه كان من مقتضيات حكمته بعد أن خلق الخلق بنوازع الشهوة والغضب لحكمة سامية ، ألاّ يترك سدى يتخبطون بأهوائهم وشهواتهم، ويغتال قويهم ضعيفهم، فاصطفى من خلقه أناسا أعدهم لتبليغ رسالاته وتعاليمه إليهم، ليبلغوها إيّاهم في العقيدة والسلوك ونظام الحياة ، وأسس الرّوابط الشريفة التي يجب أن تسود بين الناس ، وكان من عناصر هذه التّعاليم أن هذه الحياة الدنيا دار عمل ، وأن وراءها حياة أخرى هي دار الحساب والمسؤولية ، يجري فيها كل إنسان على عمله في الحياة الدّنيا، ومنها كان الإيمان بالملائكة والكتب والأنبياء العمود الفقري للإسلام[1].

أما فيما يتعلق بالأحكام والتشريعات القانونية في الإسلام، أي أن القرآن الكريم كان يترل بحسب الحوادث ، فقد كانوا يسألونه أحيانا عن أشياء فيترل الله حكم فيها. وهكذا صار يترل بالتوالي تبعا لحاجة المسلمين إلى التشريع والحكمة في نزوله مفرقا أن يكون أيسر على أمة محمد( صلى الله عليه وسلم ) حفظا وفهما وأن يكون أدعى إلى قبوله، بخلاف ما لو نزل جملة واحدة ، لا فرّ من كثير من النّاس ، لكثرة ما فيه من الأوامر والنواهي.

وبعد وفاة الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) اعتمد الفقهاء والعلماء في استنباط الأحكام بالاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية باعتبارهما الدليلان الأساسيان[2].

---

[1] مرزوق، ص 399

[2] نذير حمادو " الوجيز في أدلة التشريع الإسلامي "، موسوعة ابن سينا، ط 1، الجزائر، 2000، ص 17

التي ترجع إيهما كل الأحكام التشريعية وذلك بالإجماع والقياس [1]، لقوله تعالى: **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ** "[2].

وأما فيما يقوله المؤلف عن كتاب الإسلام بعد وفاة النبي بدؤوا يجمعون بحماسة متدفقة كل ما قاله أو حدث له [3]، فهذا القول صحيح: لأن الصّحابة كانوا جد معنيين بجمع القرآن الكريم ، ويظهر هذا من خلال كتب السّيرة ، وهكذا على ما كان في عهد من خلف الرّسول (صلى الله عليه وسلم ) فقد أمر أبو بكر الصديق –رضي الله عنه– أن يكتب القرآن وتجمع صحفه بين دفتين، وذلك حينما قتل كثير من القرّاء باليمامة، فقد روى البخاري وغيره أنّ زيد بن ثابت قال : " أرسل إلي أبو بكر فإذا عمر بن الخطاب عنده فقال أبو بكر: إن عمر بن الخطاب أتاني، فقال : إن القتل قد استحر بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن ، فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، فقلت لعمر: كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ( صلى الله عليه وسلم)؟ قال عمر: هذا والله خير ، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر" ، واستمرت العملية في عهد من تلى أبي بكر وعمر –رضي الله عنهما– [4].

والمقصود من كلام المؤلف أن القرآن استمد تشريعاته من القوانين التي كان سائدة ما قبل الإسلام مع القليل من التغيرات مع وجود تحسينات عظيمة في كل حالة من الحالات على القوانين السابقة [5].

وهذا المعنى كثيرا ما ردده الغربيون الذين يعتبرون أن محمدا مصلح اجتماع لا كنبي أرسل لهداية الناس أجمعين.

---

[1] م ن، ص89

[2] النحل: الآية 89.

[3] رالف لينتون " شجرة الحضارة "، ج 2، ص 435

[4] بدر الزركشي " البرهان في علوم القرآن"، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الجيل، بيروت، 1988، ج 1، ص 234

[5] رالف لينتون " شجرة الحضارة"، ج 2، ص 435

والقرآن الكريم هو الكتاب المقدس للمسلمين المنتشرين في كل صقع من أصقاع الأرض والذين تتمثل فيهم شتى أممها ، فيه أصول دينهم وشرائع حياتهم، ونبع إلهامهم ونبراس أخلاقهم، ونور هدايتهم في مختلف شؤونهم الدّينية والدّنيوية والرّوحية و المّادية والعامة والخاصة ، والسياسية و القضائية والإجتماعية والإنسانية ، وفيه أقوى الحوافز إلى أسمى الآفاق وأبعد الأشواط ، الموصلة إلى أعلى ما يمكن أن يكون من رفقة الذكر وعلو القدر وقوة التمكين والنصر، وهكذا فإن القرآن الكريم هو الكلام المتره عن الخطأ والمحفوظ بعيدا عن الديانات السماوية الأخرى التي عرفت مجموعة من التحريفات، وشرائع القرآن مستقلة استقلالا تاما عن القوانين السائدة قبلها[1].

ويشير المؤلف إلى مجموعة من الأمثلة التي يعتبرها تحسينا في التشريع الإسلامي، فيشير مثلا إلى النّصوص التي تقرر وجوب رحمة السّيد بالعبيد[2].

حيث أن الإسلام يحث على الرّحمة بين النّاس باعتبارها صفة كريمة، وعاطفة انسانية نبيلة ، تبعث على إعانة المحروم ، ومنع التعدي والبغي، لقوله تعالى:" **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**"[3].

قال تعالى:" **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ** "[4].

ويشير كذلك إلى مبدأ الاخوة والمساواة بين المؤمنين وهذا مقرر بقوله تعالى:" **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**"[5].

---

[1] نذير حمادو، م س، ص 399.
[2] رالف لينتون " شجرة الحضارة "، ج 2، ص 435.
[3] الاسراء: الآية82.
[4] الفتح: الاية 29.
[5] الحجرات : الآية 10.

يقول الرّسول (صلى الله عليه وسلم): " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره بحسب امرىء من الشّر ان يحقر أخاه المسلم ، كلّ المسلم على المسلم حرام،دمه وماله وعرضُه"[1].

ويشير إلى مسألة أخرى يقرر أنها ذات شأن عظيم أي أن أي شخص يولد في أي مرتبة اجتماعية حتى ولو كان عبدا ، يستطيع أن يصل إلى أعلى المناصب باعتبار الناس سواسية لا يفوق أي شخص عن الآخر.لقوله تعالى: " قُلِ اللّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "[2].

قال تعالى: "وَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ "[3].

وقال تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ "[4].

وهكذا أثبت الإسلام أنه خلق للناس جميعا وفي جميع أدوار التاريخ.

---

[1] رواه أصحاب السنن عن أبي هريرة.
[2] آل عمران: الآية 26.
[3] الأنعام: الآية98.
[4] الحجرات : الآية 13.

# رسل الثالث

## تفسير المجتمع

- الانقسام الثلاثي
- نمـــط المعيشـة

# الانقسام الثلاثي

ولكن لم تمضي خمسون سنة على موت محمد حتى انقسم الإسلام إلى ثلاث فرق رئيسية...، وكان النبي قد اختار "أبو بكر" * ليتولى شؤون الأمة من بعده[1].

والواقع أن النبي ( صلى الله علين وسلم ) لم يختره لذلك صراحة وإنما أمره بأن يصلي بالمسلمين عندما كان مريضا، والذين يقولون بأحقية أبي بكر يتولى الخلافة يستنبطون ذلك من أن الرّسول ( صلى الله عليه وسلم ) قد اختاره لهذا الأمر الدّيني، فهو أحق بأن يختار لهذا الأمر الدنيوي وهو القيام بشؤون الخلافة، واختلف المسلمون في شأن من يخلف النبي في ولاية أمر الأمة، فالأنصار رأوا أن الخليفة يكون منهم لما لهم من فضيلة الإيواء والنصرة ولأنهم هم حماة الإسلام، ولم يروا أن النبي (صلى الله عليه وسلم) خصها ببطن من بطون العرب، ولا بقبيلة من قبائلهم، وفريق آخر على رأسهم أبو بكر، رأوا أن الأمر للمهاجرين، وفريق ثالث جعلوها في بني هاشم، ونادوا بعلي لامتيازه على كل بني هاشم بالسابقة في الإسلام، ولم يدم الخلاف طويلا، فإن الفريق الوسيط قد غلب الفريقين وتبعه جماهير المسلمين.

وقد سلك الصحابة في طريق انتخاب الخلفاء ثلاثة مسالك، لأنهم لم يجدوا نصا شرعيا يقيدهم بطريق، ويأخذهم بمذهب. إذ الشرع ترك الناس أحرارا فيه يسلكون أي مذهب يوحي به العقل، فقد اتخذوا ثلاثة مسالك :

- طريقة الانتخاب المباشر من المسلمين، وقد حصل ذلك في انتخاب أبي بكر – رضي الله عنه –[2]

---

[1] رالف لينتون " شجرة الحضارة" ج2،ص436

* هكذا وردت في النص الأصلي

[2] محمد أبو زهرة " تاريخ الجدل "، دار الفكر العربي، ط 1، د م، 1934، ص 88

- طريقة العهد لمن بعده وكان ذلك لا يتم إلا بعد مبايعة المسلمين لمن يعهد إليه.
- وطريقة الشورى من أشخاص يعنيهم الخليفة، ليختاروا منهم من يخلفه[1].

وانقسم الناس إلى معسكرات ثلاثة وهم أهل السنة والخوارج و الشيعة[2].

كثر الجدال في الخلافة الإسلامية في ثلاثة أدوار في عصر الخلفاء الراشدين، ففي الدور الأول كان يدور الجدل أولا حول استحقاق الأنصار أو المهاجرين للخلافة وكان الأنصار يحتجون بالنصرة والإيواء، والمهاجرون يقولون أسلمنا قبلكم وقدمنا في القرآن الكريم عليكم، وقد انتهى ذلك الجدل بالإقرار للمهاجرين، وقد كانت روح الدين تسود المتجادلين ولذلك انتهى الخلاف وشيكا، وقد عقب ذلك خلافا آخر، حيث احتج أهل السنة بأنهم أحق بالخلافة لقرابتهم للنبي (صلى الله عليه وسلم) بقوله تعالى:"وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله" أي فرد من عشيرة محمد يمكن أن يختاره الناس للخلافة مما جعل باب الاختيار واسعا[3] .

أما الفرقة الثانية فهي الخوارج التي ظهرت بعد موقعة صفين أي لأسباب سياسية هذه الفرقة رأت أن الخلافة يمكن أن تكون في غير قريش عكس أهل السنة والشيعة بمعنى أنهم أصحاب فكرة الحكومة الجمهورية التي يحوز أن يصل فيها إلى مركز الرياسة أي مسلم دون تفرقة عنصرية، طالما توفرت فيه شروط الأهلية فيجوز أن يكون عبدا أو حرا أو نبطيا أو قريشيا وهم يجلون كلا من أبي بكر وعمر بينما يقفون من عثمان موقفا وسطا فهم يعترفون بخلافته في سنواتها الأولى و ينكرونها في سنواته الأخيرة و لكنهم ينكرون خلافة علي

---

[1] م ن، ص88
[2] رالف لينتون "شجرة الحضارة"ج2، ص436
[3] محمد أبو زهرة، م س، ص 94

و معاوية[1].

وأما الجماعة الثالثة هم الشيعة الذين أقروا بضرورة الانتساب إلى علي و الذين يعتبرون أن علي وسلالته الاثنا عشر هم الخلفاء حقيقة أو الأئمة بوجه أصح، إذ الإمام عندهم وريث النبي (صلى الله عليه وسلم)، ويتم تعيينه بطريقة إلهي بفضل وصية سرية تنتقل منذ آدم من إمام إلى آخر، إذ انتقل النور الإلهي الذي حل في آدم و الأنبياء من بعده واحدا بعد آخر حل كذلك في آباء محمد و علي و انتقل إليهما و إلى ذريتهما من بعد، وبالتالي فقد تجلى هذا النور نفسه في أبناء علي من غير فاطمة أيضا وهم جميعا من أهل البيت[2].

وهذا ما أكده المؤلف بقوله: " واعتقد الشيعة أن نفوذ محمد وسلطانه قد تجسدا في علي"[3].

فإن المؤلف فسر هذا التجسد بمعنى أن الخليفة فرد نقل الله إليه نفوذ محمد وسلطانه، فإنه يعمم الكلام عن الشيعة والواقع أن الشيعة فرق كثيرة ولهم نظريات مختلفة وليس من التحقيق أن يحكم على طوائفهم ونظرياتهم بحكم واحد، وقد استند المؤلف إلى الأحاديث الواردة في فضل علي كرم الله وجهه، حيث أن الرسول (صلى الله علي وسلم) خلف علي بن أبي طالب في غزوة تبوك، فقال، يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان، فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ غير أنه لا نبي بعدي"، أخرجه أحمد والبزار من حديث أبي سعد الخدري، وأخرج الترميذي والنسائي وابن ماجة عن حبشي بن جنادة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):" عليّ مني، وأنا من عليّ"[4].

---

[1] نبيلة حسن محمد، م س، ص 115

[2] م ن، ص120

[3] رالف لينتون " شجرة الحضارة"، ج2، ص437

[4] الحافظ جلال الدين السيوطي " تاريخ الخلفاء" تقديم الأستاذ عبد الله مسعود، دار القلم العربي، دط،سورية،1423هـ-2003هـ، ص170-171

يقول المؤلف: " وبزوال الخوارج من مسرح الحوادث أصبح الفريقان الرئيسيان في العالم الإسلامي هما السنة والشيعة ويعتبر كلا منها أن الآخر لا يسير في الطريق المستقيم، بل ويرميه بالمروق[1].

الواقع أن العصبية المذهبية، لعبت دورا هاما في التفريق بين السنة والشيعة، بل بين مذاهب السنة فيما بينها ويظهر هذا الاختلاف بين فرقتي الأشاعرة والماتريدية في بعض المسائل وأهمها مسألة القضاء والقدر، كذلك الإختلاف بين مذاهب الشيعة فيما بينها أيضا [2]. وكذلك اتباعا لحدث الرسول (صلى الله عليه وسلم) في قوله: " افترقت اليهود على إحدى، أو اثنين وسبعين فرقة، والنصارى كذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلهم في النارُ، إلا واحدة"، وآثار هذا الحديث جدال بين الفرق فيما بينها وأصبح رجال الفرق أنفسهم يدافع كل منهم عن فرقته ورأى أنها وحدها هي الناجية، أما ما عداها فهو في النار، وقد وصل بهم الأمر في تبرير رأيهم أن يتلقفوا كل ما يتوهمون أنه يساعدهم، ولو كان باطلا يدعو إلى السخرية، أو مجرد تخيل لا يقام له وزن[3].

ويظهر من هذا كله أن السياسة لعبت دورا كبيرا في ذلك، وإن كانت طبيعة السياسة الإسلامية ذات صلة بالدين، وهو قوامها ولبها، لذلك نقول إن الفرق التي نشأت كانت كل مبادئها تحوم حول الدين فكل بحوثها تتعلق بأصول الدين والاعتقاد لذلك نرى كل فرقة لها رأي قائم بذاتها، ومؤخرا ظهرت حركة جديدة في العالم الإسلامي يراد بها التقويم بين الطوائف المختلفة وجمع كلمتهم حول الأصول الأصلية المتفق عليها وعلى أنها أركان ضرورية في الإسلام.

---

[1] رالف لينتون " شجرة الحضارة" ج2، ص437

[2] أحمد دكار "تيارات فكرية"، كنوز للإنتاج و النشر، ط1 ، تلمسان، 2008، ص 31

[3] عبد الحليم محمود " التفكير الفلسفي في الإسلام"، دار المعارف، ط2، القاهرة،1989، ص76

ويقرر المؤلف أن أهل السنة الذين كانوا يسكنون بلاد العرب ومصر هم أقرب إلى الإسلام الأصلي، وأنهم بالرغم من محافظتهم، فإن بعض التعديلات قد وجدت لها سبيلا إلى مذهبهم الديني، وذلك لقبولهم فكرة الإجماع[1].

وربما كان حكم المؤلف على هذا الفريق أو ذاك حكما من غير ذي اختصاص ولا يرضى به الفريق الآخر على الأقل والحركة الجديدة التي أشرنا إليها قائمة على استبعاد التعصب المذهبي.

وهذا يظهر من خلال ما كتبه الإمام الشيخ "محمد شلتوت"_ رحمه الله_ وهو أحد أقطاب هذه الدعوة إلى جانب نظراء أجلاء له من أمثال الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الأزهر وغيره بقوله:"...إن دعوة التقريب هي دعوة التوحيد والوحدة، وهي دعوة الإسلام والسلام، وأن أسلوبها الذي تنتهجه لهو الأسلوب الحكيم الذي أمر به الله رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم) إذ يقول:"**أُدْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ**"[2]. هذا ما يتعلق بجانب علماء السنة في الأزهر، أما عن جانب علماء الشيعة فيمكن أن نذكر رائد الدعوة إلى التقريب الإمام "محمد تقي الدين القمي" بالتعاون مع الإمام "مصطفى المراغي" شيخ الأزهر، وبعد سنين من هذه الدعوة سقطت الكثير من الأفكار القاتلة على رأي المفكر الإسلامي الكبير مالك بن نبي –رحمه الله- التي سادت طويلا أتباع كل مذهب عن أتباع المذهب الآخر، إلى درجة أن بلغت الشائعات حد الاعتقاد الجازم بأن بعض نسخ القرآن الكريم التي يتداولها الشيعة محرفة. وثبت بالقطع لعلماء السنة من خلال التحريات الدقيقة أنه لا يوجد من بين ملايين النسخ القرآنية المتداولة لدى أتباع المذهب الشيعي تحريف واحد لآيات الله، لا في الكلمة ولا حتى في التشكيل. وكان

[1] رالف لينتون "شجرة الحضارة" ج2،ص437
[2] سورة النحل: الآية 125

في المقابل بعض أهل الشيعة يعتقدون أن بعض البلاد تصل إلى درجة التقديس بما يضاهي أحيانا حب الشيعة أنفسهم لأهل البيت[1].

ويتبين من خلال هذه التحريات أنه لا يوجد فرق بين أهل السنة والشيعة وكلا الفرقتين تتماشى مع أصول العقيدة والدين.

- ثم أن المؤلف يشير إلى الإجماع في عبارات غامضة ويضع له مفهوما لا يعرفه علماء الإسلام، يسمح بأن يتقبل المسلمون أي عادة تتعارض مع الدستور القرآني والحديث بحجة أن الله يريد ذلك، إذ هو المسيطر على كل ما في الوجود[2].

- فإن كلام المؤلف هذا بعيدا عن الصحة لأن الإجماع هو اتفاق مجتهدي أمة محمد(صلى الله عليه وسلم) بعد وفاته، في عصر من العصور على حكم شرعي اجتهادي، ولا يتحقق الإجماع الشرعي إلا إذا وجد الاتفاق من جميع المجتهدين، وعلى ذلك فاتفاق غير المجتهدين لا يعتبر إجماعا شرعيا ولا يكون دليلا من الأدلة الشرعية وكذلك اتفاق بعض المجتهدين دون البعض الآخر، ولو كان المتفقون هم أكثر عددا ، والمراد بالمجتهدين هم العلماء الذين لديهم الملكة التي يستطيعون بها استنباط الأحكام من أدلتها ولا ينفقد الإجماع كذلك باتفاق بعض المجتهدين دون من عاصروهم.

- ولابد أن يكون الإجماع مستندا إلى كتاب أو سنة أو قياس صحيح، حيث قال جمهور العلماء: إن الإجماع لابد له من مستند شرعي لأن القول في الدين بغير علم وبغير دليل قوله بالهوى وخطأ قطعا[3] وهو

[1] أحمد بن نعمان"التعصب العرقي و اللغوي"، دار الأمة للطباعة و النشر، ط2، الجزائر، 1997،ص158
[2] رالف لينتون "شجرة الحضارة" ج2،ص437
[3] تفسير حماد وم س ، ص 96

منهي عنه[1] بقوله تعالى :" **وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**"[2]، لأن الأمة معصومة عن الخطأ ولأن أهل الإجماع ليس إجماعهم عن مستند شرعي فهذا باطل، وسند الإجماع قد يكون من القرآن أو السنة[3].

- ونرجح أن الشبهة التي وقع فيها المؤلف جاءت مع عدم فهمه لما ورد من الأحاديث التي استدلوا بها على كون الإجماع حجة.

مثل قوله (صلى الله عليه وسلم):" لا تجتمع أمتي على خطأ" أو:"لا تجتمع أمتي على ضلال" وقوله (صلى الله عليه وسلم):" وإن ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن"[4].

ومن هذه الأحاديث تبين للمؤلف إن أجمع المسلمون على تقبل عادة وإبقائها فإنما تصبح عادة مقبولة ولو كانت معارضة للنص.

لكن كان عليه أن يدرك أنه لا يمكن الإجماع على مخالفة نص صحيح وأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ينفي أن يحدث من الأمة إجماع على ذلك من خلال قوله (صلى الله عليه وسلم):"سألت الله على أن لا تجتمع أمتي على ضلالة فأعطانيها"، وقصد من هذا الحديث عدم اجتماع أمته على خطأ فلابد من أن يوجد من يخالف هذا الخطأ فلا يتم الإجماع.

- وقد رتب المؤلف على ما فهمه أمرا، هو ما توهمه من أن السر في نجاح المبشرين المسلمين في إفريقيا دون المبشرين المسيحيين، هو أن الأولين استطاعوا أن يلائموا بين العقائد الإسلامية وبين العادات المحلية للزنوج الإفريقيين بصورة عجز عنها المسيحيون بقوله: أنه يترتب على ذلك اعتناق الإسلام أكثر من احتمال اعتناقهم للدين المسيحي[5].

---

[1] ص96

[2] الإسراء ،الآية:36

[3] نذير حمادو، م.س، ص106

[4] محمد تقية "مصادر التشريع الإسلامي"، الديوان الوطني للأشغال التربوية، ط1، د ب،1993، ص73

[5] رالف لينتون " شجرة الحضارة"ج2، ص438

فإن فكرة المؤلف مبنية على خطأ في تصوره السليم لفكرة الإجماع وشروطها الأساسية، باعتبار أن الإسلام يتقبل أية عادة ما أقر المسلمون على إبقائها بالإجماع، وهذا الأمر مما جعل المجال واسع للدخول في الإسلام، فالواقع أن الإسلام عقيدة فردية اجتماعية لا يجاريها دين من الأديان فهو الذي حرم الاحتكار والاستغلال، وحرم تداول المال في أيدي الطبقة الواحدة، حتى لا يكون دولة بين الأغنياء وأوجب للضعفاء العاجزين جزءا من ثروة الأمة بأجمعها، ومتى تقرر هذا كله في مجتمع إنساني، فلا حرج على غير المسلمين الانضمام إليه على غرار الدين المسيحي الذي عرف احتكار رجال الكنيسة على الدولة والشعب.

## نمط المعيشة:

يقول المؤلف: لم يكن عرب الصحراء جماعة كبيرة العدد، وكانت جيوشهم بالرغم ممن انضم إليها ممن اعتنقوا الإسلام ما زالت جيوشهم صغيرة وعلى أي حال فلم يكن الدين الإسلامي في يوم من الأيام يدعو إلى الخنوع أو الاستسلام، وكان أتباعه دائما محاربين ممتازين[1].

المؤلف في هذه الفقرة يرجع انتصار المسلمين على البلاد التي دخلوها، إلى قوتهم الحربية فحسب، وإلى تعفن الحالة الداخلية في تلك البلاد، ومع كونه يعترف بالإصلاح الإسلامي وبمبادئه ومثله العليا، لكنه لا يكاد يذكر من ذلك إلا النواحي التي تفيده في أحكامه، مثل اعترافه إلى الخنوع و الاستسلام، وكان أتباعه محاربين ممتازين، فإن هذا يريد التوصل إلى النصر الذي فاز به المسلمون يرجع إلى قوتهم المادية وامتيازهم في الحروب، لا إلى عوامل معنوية وروحية استفادوها من دينهم جعلت دعوتهم تؤثر في الشعوب وتسهل الفتوح.

وفي الواقع أننا حين نتحدث عن المجتمع الإنساني لا نستطيع أن نتحدث عن مجتمع بلادين، فالدين يمثل ضرورة المجتمع كما يمثل ضرورة للفرد وأجمع المسلمون على أن رسالة الإسلام هي ختام الوحي الإلهي للبشر، وأن ما ورد في القرآن الكريم يعد منهاجا لحياة المسلمين في كل زمان ومكان، وهذا المنهاج يعطي حاجات الإنسان في كافة مجالاتها المادية والروحية[2].

وهكذا كان الدين الإسلامي طريق الصواب للمسلمين الذين استطاعوا من خلاله الانتصار على الروم والفرس والتوسع نحو الشام والعراق ومصر والمغرب العربي والسيطرة على إسبانيا والقسطنطينية[3].

---

[1] رالف لينتون " شجرة الحضارة" ج2،ص478
[2] جمال الدين محمد محمود، م س، ص13
[3] حسان حلاق، م س، ص11

حيث توسعت الدولة الإسلامية في نطاق واسع من العالم ويحاول بعض المستشرقون في إخفاء دور الدين الإسلامي في تنظيم المجتمع وتسهيل طرق المسلمين، لأنهم يعرفون أهميته الكبرى من الناحية الاجتماعية ويحاول بعضه تعليل وجود الدين الإسلامي وإرجاع جذوره في المجتمع على أنه خيال يرجع إليه المسلم ليكبح نفسه الأمارة بالسوء من أجل مصالح المجتمع.

يؤكد المؤلف: أن القائد العربي "عمرو بن العاص" تمكن من غزو مصر في عام 639 بجيش قوامه أربعة آلاف رجل مع أن سكان مصر في ذلك الوقت كانوا بين ثلاثة وأربعة ملايين واستطاعوا أن يبقوا في البلاد ثلاث سنوات حتى وصلتهم الإمدادات لإتمام إخضاعها تماما[1].

وتأكيدا لقول المؤلف أن القائد عمرو بن العاص هو فاتح مصر، وأن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– تردد في السماح له بفتحها ، لأن جيوش المسلمين كانت متفرقة في الأمصار المختلفة مثل فارس وبلاد الجزيرة وبلاد الشام وكان من الصعب جمع قوة كافية لفتح بلد جديد، ولكن عمرو بن العاص كان يطمح في أن يكون صاحب الفضل في فتح مصر، فألح عمرو بن العاص على عمر بن الخطاب في السماح له بالمسير إليها، وحاول إقناعه بعدة أمور منها أن مصر غنية وافرة الثروة وأن حاكم بيت المقدس البيزنطي قد فر إلى مصر وأخذ يجمع فيها جنود الدولة، وعلى العرب ألا يضيعوا الوقت بل أن يوقعوا به قبل أن يستفحل أمره، فسمح له أخيرا بالسير إلى مصر وفتحها وأعطاه أربعة آلاف جندي وعلى الرغم من قلة العدد إلا أن عمرو بن العاص سار إلى مصر، وكان أول بلد استولى عليه عمرو بن العاص حين دخل حدود مصر هو مدينة العريش سنة 639، ثم ساروا في الطريق إلى الغرب والشرق حتى احتووا[2]

---

1 رالف لينتون " شجرة الحضارة" ج2، ص438

2 حسن عبد المنعم "تاريخ الدولة العربية" دار المعرفة الجامعية، د ط، الإسكندرية، 1997، ص 184

معظم مدن[1] مصر، وبعد ثلاث سنوات تمكنوا من دخول مدينة الإسكندرية[2]، وهكذا أصبحت مصر منذ ذلك الوقت ولاية تابعة للدولة الإسلامية.

ويميل المؤلف أيضا إلى تصوير المسلمين الفاتحين على أنهم متخلفين ولديهم إلا نصيب ضئيل من الحضارة، بدليل إلى أنهم اضطروا إلى استخدام الموظفين القدامى في شؤون الإدارة التي كانوا يجهلونها[3].

- كان العرب قبل الإسلام قبائل متفرقة، لا تربط فيما بينها روابط سوى النسب، ولا تجمعها أهداف موحدة، وكان مجتمعهم على هذا النحو مجتمعا مفتتا من الناحية السياسية

لا يعني ذلك أنه لم يكن العرب حضارة قبل الإسلام، ولكن المقصود منه أن عدم وجود دولة بمفهومها الكياني، يستتبع عدم وجود الإدارة والتنظيمات المالية والسياسية وما شابه ذلك، إذ لا حاجة للقبائل لمثل هذه التنظيمات، بل كانت تنظم أمورها وفقا لظروفها واحتياجاتها.

جاء الإسلام ليلغي هذه الأوضاع وليؤسس "دولة مدينة" في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وكان من الطبيعي ألا تجاري كبرياء الإمبراطوريات القديمة كالفارسية والرومانية التي خبرت وأدركت الكثير من أمور الإدارة والسياسية نتيجة خبراتها و تجاربها واختلاطها بشعوب أرقى منها وأكثر تقدما، ولذا فقد اقتصر التنظيم الإداري في زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) على قيادته السياسية والعسكرية ورئاسته الدينية، و لم يستلزم الأمر في ظل بساطة "دولة المدينة" الأخذ بنظم منظورة في الإدارة والحكم على غرار الفرس والروم، إلا أن تعقدت الدولة الإسلامية في عصر الفتوحات، كان طبيعيا الاقتباس من نظم[4].

---

[4] حمدي عبد المنعم محمد حسين " تاريخ الدولة العربية"، دار المعرفة الجامعية، د ط ، الإسكندرية، 1997، ص 141
[1] رالف لينتون " شجرة الحضارة"ج2، ص 479
[3] حسان حلاق، م س، ص28

المغلوبين، وهذه ظاهرة طبيعية إذ دلت على شيء فإنما تدل على أن العرب شعب يتقبل الحضارات العالمية ولا يعيش في منعزل وانكماش عن التطورات الحضارية[1].

- وحقيقة الاقتباس يدل على عدل الحكم الإسلامي وطبيعته، وعدم التمييز بين الغالب و المغلوب وتبادل الثقة بين الشعوب.

- ومن الأنظمة التي اقتبسها العرب عند الفرس والروم نظام الدواوين الذي كان أداة لتنظيم أمور الدولة في كافة المجالات.

وزيادة على ذلك أن نظام الديوان وجد في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) دون أن يسمى بهذه التسمية، ودليل على ذلك كان للرسول (صلى الله عليه وسلم) كتبه وقراء من الصحابة بلغ عددهم أكثر من اثنين وأربعين شخصا.

إلا أن في عصر الفتوحات وفي عهد معاوية بن أبي سفيان خطت الإدارة العربية خطوات سريعة إلى الأمام نظرا لانفتاحه الشديد على الحضارات السابقة وقد اضطرته الظروف الجديدة للأخذ بمثل هذه الحضارات، لا سيما الإدارية منها، بعد أن رأى ضرورة إخراج إدارة الدولة العربية من رتابة الماضي إلى تطور الحاضر، وقد استعان معاوية بن أبي سفيان بأشخاص من النصارى في الإدارة العربية. بينما كان الخليفة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– يمتنع عن استخدامهم إلا إذا أسلموا، لاسيما في الإدارة، إلا أن معاوية على سبيل المثال استعان بسرجون بن منصور، وابنه منصور بن سرجون من نصارى الشام بإدارة دواوين المال، وتولى أشخاص من النصارى والفرس دون العرب والمسلمين كثيرا من الوظائف[2].

[1] حسان حلاق، م س، ص 29
[2] م ن، ص34

وهذا الكلام كله عن الحضارة العربية الإسلامية ما هو إلاّ دليل على أن الدّين الإسلامي جاء منفتحا على غيره لا منغلقا على نفسه، فهو دين العدل والتساوي والتكافؤ الجنسي.

كذلك يزعم المؤلف أن نجاح الدعوة الإسلامية يرجع إلى عوامل تجارية واقتصادية وجغرافية اضطرت المدن التي تعيش في مستوى خاص أساسه صناعي أو تجاري إلى تقبل حكم الإسلام لإحساسها بأنها تحت رحمة أي جماعة تسيطر على طرق التجارة بين تلك المدن[1].

فالمؤلف في هذه الأمور لا يعتمد على نصوص أو حوادث تاريخية معينة، وإنما يعتمد فيها على تأمله واستخلاصه، وعلى كل متطلع على الدين الإسلامي وعلى مبادئه وعقائده يدرك حقيقة هذا الدين، ويكتشف أنه دين حرية لا دين تسلط.

وأدعم كلامي هذا بكلام العلامة –مالك بن نبي– في تحدثه عن الديموقراطية في الإسلام.

يقول: عندما نتحدث عن الديموقراطية عند الشعوب غير الإسلامية فإننا نتحدث عن بعض الحقوق السياسية أو الاجتماعية التي تمنح للإنسان، أما الإسلام فإنه يمنح للإنسان قيمة تفوق كل قيمة سياسية أو اجتماعية لأنها القيمة التي يمنحها له الله في القرآن في قوله:" وَلَقَدْ كرَّ منا بَنِي آدَم" فهذا التكريم يكون أكثر من الحقوق أو الضمانات، فهو الشرط الأساسي للتعبير اللازم في نفس الفرد طبقا للشعور الديمقراطي سواء بالنسبة للأنا أو بالنسبة للآخرين، والآية التي تنص على هذا التكريم تبدو وكأنها نزلت لتصدير دستور ديمقراطي يمتاز عن كل النماذج الديمقراطية الأخرى، فنظرة النموذج الإسلامي إلى الإنسان هي النظرة إلى التكريم الذي وضعه الله فيه، فالتقويم الإسلامي يضفي على الإنسان شيئا من القداسة، ترفع قيمته فوق كل قيمة تعطيها له النماذج المادية الأخرى[2].

---

[1] رالف لينتون " شجرة الحضارة" ج2، ص440

[2] مالك بن نبي " تأملات "، دار الفكر للطباعة والنشر، د ط، دمشق، 1982، ص 74

ثم إن الإسلام الذي وضع في نفسية الإنسان الشعور بتكريم الله له فإنه يحس بحاجزين وضعهما الله في يمينه وشماله كي لا يقع في هاوية العبودية أو هاوية الاستعباد، وهذان الحاجزان مذكوران بالإشارة في الآيتين [1]. فيقول عز وجل:" **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلذِّينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَ العَاقِبَةُ لِلمُتَّقِينَ**"[2].

وقال أيضا:" **إِنَّ الذّينَ تَوَفَّاهُمُ الملاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا، إِلَّا المُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرّجَالِ وَالنّسَاءِ وَالوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا، فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّا غَفُوراً** "[3]

ومجمل القول أن الإنسان تحت راية الإسلام محفوظ من النزعات المنافية للشعور الديموقراطي، الموجودة أو المدسوسة في طينة البشر، بما وضع الله في نفسه من تكريم مقدس، وما جعل عن يمينه وشماله من معالم، ترشد طريقة حتى لا يقع في وحل العبودية أو وحل الاستعباد[4].

- وبهذا فإن رسالة الإسلام وجهت إلى الناس بمبادئها وعقائدها وعدلها قبل أن تسير إليهم بجيشوها، فالناس انطووا تحت رحمة الإسلام لديموقراطيته واحترامه كرامتهم لا خوفا منه باعتباره هو المتسلط.

- يقول المؤلف:" وبقي أسلوب حياة البدو دون أن يعتريه تغير كبير آلافا من السنين، أما سكان المدن فإنهم يحيون حياة تشبه حياة الأوروبيين،...وأصغر الوحدات في نظام الحياة العربية هي مضارب خيام البدو والقرى"[5].

---

[1] م ن، ص 73
[2] القصص: الآية 83
[3] النساء : الأيات 97، 98، 99
[4] مالك بن نبي، م س،ص 74
[5] رالف لينتون "شجرة الحضارة"، ج2،ص 441

- نرى المؤلف أنه أطال الحديث عن أسلوب حياة المسلمين كما نجد أن الدراسات العربية اهتمت بدراستها دراسة معمقة لما لها من أهمية على كافة الأصعدة الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، ولأن مثل هذه الدراسات تظهر لنا الواقع الإسلامي الذي استطاع أن يظهر الدين الإسلامي كدين حضاري قادر على استيعاب مفاهيم العصر وقادر على تسيير أمور الدولة الإسلامية.

- لم يكن للعرب قبل الإسلام جامعة وطنية يجتمعون بها أو يدافعون عنها، لأنهم كانوا لا يستقرون في وطن لتغلب البداوة على طباعهم و تنقلهم بالغزو و الرحلة و البداوة أقطم أقدم من الحضارة، لأنها أقرب منها إلى الفطرة الطبيعية، فالإنسان كان في أول أدواره بدويا يحترف الزراعة والفلاحة، أو يقوم على تربية الحيوان من الغنم والبقر أو النحل والإبل مما لا تتسع له المدن من المزارع للغرس والمراعي للمراعى، فالتجأوا إلى السهول والبراري، وكان همهم بلوغ الضروري من القوت والسكن والدفء بالمقدار الذي يحفظ الحياة ويمكن من مواصلة العيش.

- فالبدو أهل الفلاحة مضطرون للاستقرار في مواطنهم ينتظرون الغلة وهم سكان المداشر والقرى والجبال وأما البدو الذين يحترفون تربية الحيوان فقامت حياتهم على الارتجال، لارتياد المسارح والمياه لحيواناتهم[1]، وبمجيء الإسلام انتقل العرب من أسلوب حياتهم وتقاليدهم القديمة إلى أسلوب جديد وإلى مثل عليا جديدة، وكانت النقلة الجديدة للعرب المسلمين سببا لنشوء المدن الإسلامية التي أصبحت مركزا للحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية ففيها أقيمت الأسواق والمتاجر، وأنشئت المدارس وعقدت مجالس الفكر والأدب والشعر، وأقيمت المساجد التي كانت المركز الرئيسي للمدن الإسلامية حيث تتوزع منها الشوارع والأسواق ، وكانت أقدم المدن التي أنشأها العرب: البصرة[2]

[1] جرجي زيدان "تاريخ التمدن الإسلامي"، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، د.ت، ج2، ص288

2 حسان حلاق، م س، ص61

والكوفة والقسطاط والقيروان وواسط، والواقع أن تطور المدن وانتقال الناس إليها واستقرارهم فيها، أدى إلى إقامة الصناعة والتجارة ونمو الحياة الاقتصادية، وباتساع المجتمع الإسلامي، وتعدد ميادين الأنشطة كانت الضرورة ملحة لتنظيم هذا المجتمع على أسس إسلامية تحول دون اضطراب الأوضاع[1].

وهكذا انتقل المجتمع الإسلامي من قساوة البداوة إلى ترف الحضارة كما يعرفها العلامة ابن خلدون "هي التفنن في الترف واستجادة الأحوال، والكلف بالصنائع التي تؤنق من أصنافه وسائر فنونه من المصانع المهيئة للمطابخ أو الملابس أو المباني، ولسائر أحوال الناس".

-ويزعم المؤلف:"أن العائلات الإسلامية الغنية تستخدم عددا من العبيد، وما زال نظام الرقيق موجودا في بعض البلاد الإسلامية" [2].

فالاسترقاق قديم مثل قدم الإنسان، لأن الإنسان مفطور على الاستبداد، والقوي يستعبد الضعيف، وكان الإنسان في أول عهد العمران إذا غلب عدوه وقبض عليه لا يستعبده بل يقتله، إلا النساء فقد كانوا يستبقونهن للاستمتاع بهن، ثم صاروا يستعبدون الأسرى ويستخدمونهم في حرث الأرض ورعاية الماشية أو نحو ذلك من الصناعات[3]. وبمجيء الإسلام تضاءل عدد العبيد لأنه جاء رحمة بهم، فأوصى النبي (صلى الله عليه وسلم) بهم خيرا بقوله:" لا تحملوا العبيد ما لا يطيقون، وأطعموهم مما تأكلون" وقال:" لا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي". وكان معظم المسلمون يعتقون عبيدهم أي إذا أسلم العبد وأظهر التقوى أطلقه سيده وعلى سبيل المثال اعتق عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– ألف عبدا، وكان بعض أهل الورع يبتاعون العبيد ويعتقونهم ابتغاء مرضاة الله، وكانوا يعتقون العبيد ترغيبا لهم في الجهاد كما فعل الجنيد ابن عبد الرحمان المري صاحب خرسان بهشام بن عبد الملك في

---

[1] حسان حلاق، م س،62

[2] رالف لينتون "شجرة الحضارة" ج2،ص445

[3] جرجي زيدان، م س، ص299

واقعة الشعب، لما احتدم الوطيس وخاف الجنيد الفشل، فصاح في العبيد: "أي عبد قاتل فهو حر"، فقاتل العبيد قتالا أعجب منه الناس وانهزم الأعداء، وكما فعل المسلمون في بعض البلاد التي فتحوها، فكانوا يعدون عبيدها بالعتق إذا أسلموا[1] .

ونرى أن عدد العبيد تضاءل كثيرا في ظل الإسلام، كما أن هذا التضاؤل والعتق لعبا دورا كبيرا في نشر رسالة الإسلام في جميع أقطار العالم.

يشير المؤلف إلى النساء المسلمات بقوله إنهن يقضين أوقاتهن في الأدوار العليا ويشغلن أوقاتهن بالتطلع إلى سير الحياة من نوافذ التي تطل على الشارع وإنهن يعشن في عزلة تامة وخاصة الشابات منهن، ولكن بعد أن يصبحن متوسطات العمر يستطعن أن يخرجن ويتمتعن بحرية أكثر، ولكنهن لا يخرجن إلا محجبات ولا شك أن المجتمع الإسلامي مجتمع يسيطر عليه الرجال[2] .

فالمؤلف بهذا الكلام يلمح أن الدين الإسلامي يمقت النساء ويسيطر عليهن ويحرمهن حريتهن فهذا غير صحيح لأن دين الإسلام دين حق فهو يساوي بين الأجناس سواء كان ذكر أو أنثى .

وقبل أن أتكلم عن المرأة في الإسلام، نذكر مكانتها وحالتها في الديانات الأخرى والحضارات السابقة.

كلنا يعلم ما كانت عليه أمة الفرس من الحضارة القديمة، كما نعلم ما اشتهر به بعض ملوك فارس من العدل والفضل، حتى ضربت بهم الأمثال، إلا أن الرجل كان له الحق أن يتزوج من النساء من شاء، من غير وقوف عند حد، ولا تقيد بشرط، ولا سؤال عن حق، ولقد كان له أيضا أن يتخذ من الأخدان من شاء.

---

[1] م ن، ص327

[2] رالف لينتون "شجرة الحضارة" ج2، ص443

ومكانة المرأة في الديانة اليهودية منحطة إلى الأرض لأن الأب كان يبيع ابنته قبل بلوغها، كما كان لابنه الذكر أن يفعل ذلك وعلى سبيل المثال: فإن المرأة في عادتها الشهرية ينفر منها زوجها وأبناؤها لأنهم يعتبرونها مدنسة، وهكذا كان شأن المرأة عند العرب في الجاهلية، فكانوا يقومون بدفن بناتهم وهن أحياء حتى قال قائلهم:"دفن البنات من المكرمات"[1]، وهكذا كانت مكانة المرأة بين قبائل العرب والفرس والرومان الشرقيين فكانت مكانتها من مكانة الحيوانات.

إلى أن جاء القرآن الكريم والمنهج الإسلامي الذي يتسم بالشمول والكمال و يبتعد عن الجزئية في النظرة إلى الحياة والمخلوقات كما يهتم بالإنسان باعتباره المخلوق المميز الذي وقع عليه عبء الخلافة في مهمة الخلافة، إذ لا يقوم العمران وتمتد الحياة إلا بهما متعاونين متكاملين وما أجمل خطاب القرآن[2].

في ذلك إذ يقول:" **يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**"[3].

ومن هنا خلقت من آدم وقطعت معه رحلة الابتلاء والصراع مع الشيطان، وتحملت معه المسؤولية كاملة في حالتي الاقتراف والمتاب، ومضت سنة الله عز وجل على تحملهما المسؤولية كل واحد على حسب[4] قدراته وإذا كانت الحضارات الأخرى التي أسلفنا القول عنها أجحفت في حق المرأة وحادت عن الحق والإنصاف في النظرة إليها، فالإسلام جاء يخلص المرأة من الأغلال التي قيدتها والتفريط الذي مسخها.

---

[1] عبد العزيز جاويش، م س ، ص115.
[2] أحمد محمد العسال، م س ، ص168.
[3] النساء، الآية 01
[4] م ن، ص 169

وأتاح لها القرآن الكريم مجموعة من الحقوق منها إبطال النظرة الجاهلية برمتها والتشنع عليها، واستقبال البنت والترحيب بها[1]، يقول الرَسول (صلى الله عليه وسلم):" من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات، أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن، فله الجنة"[2]، والتساوي بينها وبين الرجل أوجب الإسلام عليها كما أوجب على الرجل معرفة العقائد والعبادات ومعرفة الحلال والحرام في المأكل والمشرب وسائر التصرفات ووجوب تعلمها لأن "طلب العلم فريضة على كل مسلم"[3].

والمسلم يشمل الذكر والأنثى، هذا هو الإطار الفاضل الذي وضعت فيه المرأة، وبهذا نقول أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي أنصفها وأعطاها حقها ووضعها في المكان العدل من أجل إتمام رسالتها في الأرض دون تفريط منها ولا تفريط لحقها.

وأما فيما يقوله المؤلف عن النساء المسلمات أنهن لا يخرجن إلا محجبات ولاشك أن المجتمع الإسلامي مجتمع يسيطر عليه الرجال[4].

وبهذا القول يزعم المؤلف أن الدين الإسلامي يكبت حرية النساء ويفسر لبسهن الحجاب سيطرة الرجال عليهن، ولكن هناك حكمة من لبس الحجاب وحفظ مكانة المرأة على ما كانت عليه في الجاهلية. فالمجتمعات القديمة تجعل العلاقة بين المرأة والرجل علاقة منفعة وإشباع رغبة، لذلك أصبح جمال المرأة وإبراز مفاتنها غير مقيد بالجوانب الأخلاقية والضوابط السلوكية، ومن ثمة يجيء الزي والملبس مبرزا ومظهرا لذلك الاتجاه، بينما المجتمع الإسلامي ينظر للمرأة على أساس الدور الذي تقوم به مشاركة لأخيها الرجل وقدسية هذا الدور وأهميته في بناء المجتمع وأنه يرتكز أساسا على الجانب العقيدي[5]

---

[1] أحمد محمد العسّال، م ن ، ص169

[2] رواه أبو داود وابن حيان في صحيحه والترميذي واللفظ له

[3] رواه ابن ماجة

[4] رالف لينتون "شجرة الحضارة" ج2، ص443

[5] احمد محمد العسال، م س ، ص170.

والخلقي ومنهج الحياة التي ينبغي أن تتبناه وفق ذلك ومن هنا يكون زيها وهندامها انعكاسا وترجمانا للأخلاق والقيم الفاضلة التي آمنت بها، وقد قص الله علينا قصة أبوينا آدم وحواء، حين أغراهما الشيطان بالأكل من الشجرة المحرمة فبدت لهما سوآتهما، فألهما قطف ورق الجنة ليسترا عوراتيهما، فكان ذلك أول إلهام من الفطرة في أن العورة يجب سترها ويستحيي من إبدائهما، بل ويستقذر إظهارها، وظل اتخاذ اللباس الساتر والهندام الجميل دليل التحضر والاحتشام والعفاف، وعلى العكس من ذلك كان العرى والتخفيف من اللباس وإبداء العورات دليل الحياة الابتدائية، وذلك واضح في حياة القبائل الهمجية وهو أيضا دليل الانحدار والانحطاط في الحضارات السالفة ونذير الفناء والضياع، وقد حدث هذا في حياة اليونان حين أصبحت المومسات لهن مكانتهن في المجتمع، وأصبحت بيوتهن قبلة لسائر طبقات المجتمع مما حملهم أن يتفننوا في صنع التماثيل العارية للمرأة مما أوقد فيهم الغرائز البهيمية وأصبح عامتهم ينظرون إلى عقد الزواج نظرة من لا يهتم به ولا يرى حاجة إليه ولهذا امتن الله تبارك وتعالى علينا باللباس نستر به أجسادنا وطلب إلينا أن يتعاون لباس التقوى من الإيمان والعفة والحياء، وحرم تبرج المرأة وإظهار مفاتنها لسد أبواب الفساد ولتكون صورة حية للتكريم الذي كرمها الله به[1].

وهكذا جاء الإسلام محافظا لشرفها ونسبها، ولباس الحجاب دليل على حشمتها وعفتها وأخلاقها العالية ولكن حقيقة الواقع اليوم انحطاط المجتمع الإسلامي ووصوله إلى درجة الجهل والتقليد وانكسار الحاجز الذي كان بين الرجل والمرأة، حيث نرى معظم البنات المسلمات محموسات بتقليد المجتمع الغربي في اللباس والهندام .

[1] م ن، ص186

وما ذكره المؤلف عن المسجد أنه المكان الذي يذهب إليه المسلمون لتأدية أوقات الصلاة، وما ذكره من وصف له وما يجوز فيه، وما يحرم بداخله[1]، فهذا صحيح وكما هو معروف أن السجود من أشرف أفعال الصلاة لتقرب العبد من ربه، فاشتق اسم المكان منه فقيل مسجد.

لقد كان المسجد على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المركز الوحيد للأمة كلها، تؤدى فيه عبادتها وتتعلم فيه أمور دينها وتنشر فيه أخبارها، وكان المؤسسة الوحيدة في الدولة الوليدة، يمثل ببساطته بساطة المجتمع وحداثه، فالمسجد كان ولا يزال يحافظ على مجموعة من الوظائف الجليلة فهو يتيح للإنسان المجال لأداء روحي راق لما فيه من سكينة، وما له من وقار، وفيه تتم ممارسة جملة من العبادات الملبية لحاجة الروح وعلى رأسها "الصلاة"، ولها دور في تقوية الفرد حين تغرس فيه معاني الصبر والثبات حين تحمله على فعل الخيرات.

وفيه ترتفع أصوات المصلين بالذكر والتسبيح والدعاء والاستغفار وتلاوة القرآن في جو إيماني مشترك[2].

والمسجد ليس موضعا تؤدى فيه الصلوات في بعدها الطقوسي شأن المعابد، ولكنه مكان للتأمل والتوبة، وهي ضروب من الجمال النفسي يناسبها الجمال المعماري، ففيه يتم تدريب الأفراد وتوجيههم إلى الكيفية الصحيحة لمخالطة الآخرين وتوضح الأسس التي يتم بمقتضاها اختبار الأصدقاء والأصحاب وفيه تتاح الفرصة للمصلين للتدرب على كيفية السيطرة على الشهوات وتجنب الشر والمنكرات، كما يتيح وسطا بديلا عن كل الأوساط التي قد يتردد عليها لشغل أوقات الفراغ وتلبية الحاجات النفسية، فهو بذلك يؤدي دور الحماية والوقاية من الأمراض النفسية[3].

---

[1] ينظر إلى رالف لينتون " شجرة الحضارة"، ج2، ص449

[2] مراد زعيمي " مؤسسة التنشئة الاجتماعية"، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص114

[3] المرجع نفسه، ص116

وبهذا فإن رسالة المسجد شاملة ومتنوعة، تسعى إلى الرفع من شأن الإنسان والحفاظ على كرامته وتقويم سلوكه، والعيش في أمان وطمأنينة. والمسجد هو دعاء الحجز ومركز إشعاع كل نشاطات الجماعة المسلمة، ونقطة تلاقي جميع الفنون.

إن بنيته الأساسية تُذكِّر ببيت النبي: ساحة يطهر فيها الإنسان بالوضوء ورواق يحتمي فيه من الشمس ومشكاة صغيرة فارغة –محراب– تدل المؤمنين على اتجاه الكعبة.

إن محور كل مسجد يتجه نحو الكعبة، وإن حائطه الرئيسي (القبلي) هو الذي يصطف، قبالته المؤمنون للصلاة، وإن بنيته تتطابق مع وظيفته، إنه لا يشبه الكنيسة النصرانية، ولا المعبد الإغريقي، لأنه لا يصلح أن يكون مدخرا تحفظ فيه رفات القديسين، والكعبة مكعب من الحجر لا تحتوي على شيء، ولا مكانا لاحتفال طقسي، إنه على عكس المعبد الإغريقي. أو الكنيسة النصرانية المستطيلة الشكل.

وإن التشريع الأساسي في الإسلام، يفرض على المؤمن ألا يصرف تأمله عن الوحدة كما يفرض عليه أن ينعتق من مظاهر العالم وإغراءاته الوثنية، بقصد إعادة النفس إلى الواحد الذي يتجاوز كل حقيقة جزئية ولا يمكن التعبير عن مبدأ التوحيد الصارم المحكم، بعد استبعاد أي تصوير مادي إلا باللجوء إلى ما يشعرنا بوجود نظام رياضي وعقلاني، متناسق وموسيقي في وقت واحد .

وإذن فإن الزخارف الممكنة في الإسلام، هي فقط الرسوم الهندسية التي يعادل تكرارها الساحر بالنسبة للمسلم من ترتيل وقول باسم الله وحده،وإن تشابك الأشكال السداسية، والانحناءات والزوايا المتساوية[1]

[1] روجيه غارودي " وعود الإسلام "، الدار العالمية للطباعة و النشر، ط ا، لبنان، 1984، ص 184

فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ، ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ، ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ"[1].

وما ذكره المؤلف عن أضرحة الصالحين وأن بعض الناس يعتقدون زيارة أحد هذه الأضرحة سبع مرات يعادل الحج إلى مكة[2].

وهو من الالتباس الذي يجب التمييز فيه بين العادات وبين العبادات، ذلك أن الحج عبادة مخصوصة في زمان ومكان معينين وبشروط موجبة، أما زيارة الأضرحة فمن العادات التي قد تأخذ مبلغا طقوسيا، ولكنها في البعد الديني لا يمكن أن تصبح من متممات الحج أو مقاصده .

ويبدو أن رالف لينتون –في قوله ذلك– كان يقصد بعض الممارسات الطقوسية عند مئات من المسلمين كالصوفية والشيعة، وهاتان الفرقتان حين تلتزما (بقوله الشيخ والإمام، فإن الضريح عندهما يصبح من الولاء الديني للمذهب).

---

[1] الحج : الآيات 27، 28، 29، 30

[2] رالف لينتون "شجرة الحضارة"، ج 2، ص 452

# الخاتمة

# الخاتمة

الحقيقة أن الاستشراق مؤسسة من مؤسسات الغرب المتقدم، و مدرسة بحث قائمة متميزة عن غيرها من مدارس البحث، فبالإضافة إلى مهامها العلمية لازالت تزود الغرب بما يدور في الدول العربية زيادة على كونهم علماء مختصون بالشرق.

و عل الرغم من اختلاف جنسيات المستشرقين و انتماءاتهم القومية و الفكرية فقد كانوا يجتمعون على أكثر من محور واحد في القضايا من تاريخ العالم الإسلامي، و قد توصلوا الى نتائج عديدة حتى أصبحت بعض تلك الدراسات لا تمثل في الحقيقة إلى وجهة النظر الخاصة بهم.

ولاحظت أن منهج الاستشراق في دراسة الحضارة العربية الإسلامية تتخلله عوامل عديدة كالعوامل القومية و الدينية و السياسية و التي كانت تؤثر في عملية التحليل التفسير.

و استنتجت من خلال دراستي لكتاب شجرة الحضارة ج2 للعالم الأمريكي رالف لينتون في دراسة الشعوب المسلمة، إنه اتبع المنهج الأنتربولوجي لقراءة التعدد الإثنوغرافي في العالم الإسلامي:

1. لقد أكدّ أن المجتمع الإسلامي تسوده العصبية القبلية و الحمية بين أفراده، و حكم على الرجل العربي بالصّرامة و الانفعال و رأيه هذا توافق مع أغلب المستشرقين حيث أكدوا تجذر هذه الصفات و ملازمتها للرجل العربي رغم مرور الزمن و تغير الأحوال.

2. اعتباره الرّسول (صلى الله عليه و سلم) مصلحا اجتماعيا أو مفكرا سياسيا و ستبعاد صفة النبوة عنه (صلى الله عليه و سلم) فهذا في ظن المؤلف.

3. تشويه بعض الحقائق من تاريخ الحضارية العربية الإسلامية، و يظهر ذلك في وصفه لحياة الرّسول (صلى الله عليه و سلم) و أعمال الصّحابة من بعده -رضي الله عنهم- بأنها من نتائج عقد نفسية.

4. ربطه القرآن الكريم بالدّيانات الوضعية، و هذا المعنى كثيرا ما ردده كتاب الغرب، و هم يزعمون به أن الشّريعة الإسلامية مقتبسة من القانون الروماني و اليوناني و غيرهم.

5. تبيان نقطة ضعف المسلمين بعد وفاة الرّسول (صلى الله عليه و سلم) إذ نرى المؤلف يتفنن في تحليل الكيفية التي انقسم بها العالم الإسلامي بين أهل السنة و الشيعة.

6. إرجاع نجاح الدّعوة الإسلامية إلى عوامل تجارية و اقتصادية، إذ يزعم أن الإسلام يقوم بمزج العقائد الإسلامية بالعادات المحلية للشعوب.

7. تفسير لبس الحجاب بذكورية المجتمع الإسلامي، بينما الإسلام هو الدّين الوحيد الذي ساوى بين الرجل و المرأة، و تبين هذا في العديد من الآيات القرآنية.

8. إدعاؤه أن العبادات الروحية مقترنة بالفوائد المادية، و يرجع تشجيع فريضة الحج إلى الربح الاقتصادي الذي يعم البلاد.

فهل بعد هذا كله يطمئن عاقل إلى براءة الاستشراق، و يلقى إليه السّمع و البصر ظنا أنه العلم الحق؟

تخلص الدراسة التي أقمناها إلى أن استشراق رالف لينتون نبوءة استعمارية أخرى لا تبغي حوارا حضاريا بقدر ما تطلب صراعا أبديا.

و هو رجع على بدء افترضناه في بداية البحث و تصديق لما غلب علينا من أن الاستشراق ظاهرة استعمارية.

و ختام نسأل الله عزّ و جل أن يلهمنا السداد و التوفيق.

# ثانية العصاور والحد

القرآن الكريم (رواية ورش) عن نافع.

**قائمة المصادر و المراجع:**


- إدوارد (سعيد)، تعقيبات على الاستشراق، ترجمة و تحرير صبحي حديدي، درا الفارس، ط1، بيروت، 1996.
- بوفرحات (هدى)، قصة و تاريخ الحضارات العربية، العراق – الأردن، Edito Greps, INT، دط، دب، دت.
- تقية (محمد)، مصادر التشريع الإسلامي، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، دت.
- جرجي ( زيدان )، تاريخ التمدن الإسلامي، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، د ت، الجزء الأول
- حلاّق (حسّان)، دراسات في تاريخ الإسلامية، دار النهضة العربية، ط2، بيروت، 1999.
- حمادو (ندير)، الوجيز في أدلة التشريع الإسلامي، موسوعة ابن سينا، ط1، الجزائر، 2000.
- حمدي عبد المنعم محمد (حسين)، تاريخ الدولة العربية، دار المعرفة الجامعية، دط، الإسكندرية،
- خطاب (عبد المنعم)، الوضع العقائدي و مجيء الإسلام، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1987.
- خفاجي محمد (عبد المنعم)، عظمة الشخصية المحمدية، دار الوفاء، ط1، الإسكندرية، 2002.
- ابن خلدون (عبد الرحمن)، تاريخ ابن خلدون، علق عليها تركي فرحان المصطفى، دار إحياء الثرات العربي، ط1، بيروت، 1419ه – 1999م، الجزء الثاني.
- دروزة (محمد عزّة)، القرآن المجيد، منشورات المكتبة العصرية، دط، بيروت، دت.

- الزركشي (بدر)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أو الفضل ابراهيم، دار الجيل، بيروت، 1988، الجزء الأول .
- زعيمي (مراد)، مؤسسة التنشئة الاجتماعية، دار قرطبة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2007.
- الزرقاف (محمد)، التعريف بالقرآن الكريم و الحديث، المكتبة العلمية، ط1، بيروت – لبنان، 1400ه – 1980م.
- أبو زهرة (محمد)، تاريخ الجدل، دار الفكر العربي، ط1، دم، 1934.
- ساسي الحاج (سالم)، نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية و أثرها في الدراسات الإسلامية. دار المدار الإسلامي، ط1، ليبيا، 2002، الجزء الأول.
- سامعي (إسماعيل)، معالم الحضارة العربية الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 2007.
- الساموك (سعدون محمود)، الوجيز في علم الاستشراق، دار المناهج، ط1، الأردن، 1423ه – 2004م.
- السباعي (مصطفى)، الاستشراق و المستشرقون، دار الورق للنشر و التوزيع، ط1، بيروت، 1999.
- سرور (جمال الدّين)، قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد صلى الله عليه و سلم، دار الفكر العربي، دط، القاهرة، 1421ه – 2000م.
- سمايلوفتش (أحمد)، فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر، درا الفكر العربي، القاهرة، 1418ه – 1998م.

- السيد (عبد العزيز)، السيد عبد العزيز سالم (سحر)، معالم التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، دط، الإسكندرية، 2004.
- سيد محمد (محمد)، الغزو الثقافي و المجتمع العربي المعاصر، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، 1415ه – 1994م.
- السيد (محمود)، تاريخ الدولة البيزنطية، مؤسسة شباب الجامعة، دط، الإسكندرية، 2007.
- أبو شعشيع أبو دينا (عبد المنعم صبحي)، الاستشراق اليهودي، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2008.
- فيصل (شكري)، المجتمعات الإسلامية، دار العلم للملايين، ط5، بيروت – لبنان، 1981.
- شلتوت (محمود)، الفتاوى، دار الشروق، ط11، بيروت، 1402ه – 1982م.
- عمران (محمود سعيد)، الإمبراطورية البيزنطية و حضارتها، دار النهضة العربية، دط، بيروت – لبنان، 1430ه – 2009م.
- غارودي (روجيه)، وعود الإسلام، الدار العالمية، ط1، لبنان، 1404ه – 1984م.
- فروخ (عمر)، تحت المستشرقون (ما لهم و ما عليهم)، مجلة الاستشراق، العدد 1، سلسلة كتب الثقافة المقارنة، بغداد.
- ابن كثير أبو الفداء (إسماعيل)، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركائه، القاهرة، 1384ه -- 1964م، الجزء الأول .

- كنعان (محمد) بن أحمد، السيرة النبوية و المعجزات خلاصة تاريخ بن كثير، مؤسسة المعارف، ط1، بيروت – لبنان، 1417ه – 1996م.
- لينتون (رالف)، شجرة الحضارة، ترجمة أحمد فخري، موفم للنشر، الجزائر، 1990، الجزء الثاني .
- متر (آدم)، الحضارة الإسلامية، مكتبة الخانجي، مصر، 605ه – 696م.
- المراغي (محمد مصطفى)، حياة الرّسول، دط، دت.
- محمود جمال الدين (محمد)، أصول المجتمع الإسلامي، دار الكتاب اللبناني ط1، بيروت 1996.
- محمود (عبد الحليم)، الرّسول صلى الله عليه و سلم، دار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت، 1980.
- ابن منظور أبي الفضل (جمال الدّين)، لسان العرب، دار الصادر. ط1، بيروت، 1410ه – 1990م.
- موسى (إسحاق)، الاستشراق تطوره و أهدافه، مطبعة الأزهر، القاهرة، 1967.
- النشمي عجيل (جاسم)، المستشرقون و مصادر التشريع الإسلامي، المطبة العصرية، ط1، كويت، 1404ه – 1484م.
- ابن نبي (مالك)، تأملات، دار الفكر للطباعة و النشر، دط، دمشق، 1982.
- ابن نعمان (أحمد)، التعصب و الصراع العرقي و الديني و اللغوي، دار الطباعة و النشر، ط2، الجزائر، 1997.
- ابن هاشم، السّيرة النّبوية، دار الكرز الأدبية، القاهرة، ط1، الإسكندرية، 2002، الجزء الأول.

# فہرس الموضوعات

# فهرس الموضوعات


| العنوان | الصفحة |
| --- | --- |
| مقدمة..... | أ |
| المدخل ..... | 01 |
| • تعريف الاستشراق..... | 01 |
| • نشأة الاستشراق ..... | 04 |
| • دوافع الاستشراق ..... | 06 |
| • التعريف ب "رالف لينتون"..... | 12 |
| الفصل الأول :تفسير نشأة الإسلام..... | 16 |
| المبحث الأول : انحلال الإمبراطوريات العالمية..... | 17 |
| • الإمبراطورية الرومانية..... | 17 |
| • الإمبراطورية الفارسية ..... | 19 |
| المبحث الثاني :انتهاء القبائل وتشكل مجتمع إسلامي ..... | 26 |
| الفصل الثاني :تفسير الوحي ..... | 34 |
| المبحث الأول :السيرة النبوية ..... | 34 |
| المبحث انثاني :القرآن الكريم..... | 50 |
| الفصل الثالث :تفسير المجتمع ..... | 56 |
| المبحث الأول :الإنقسام الثلاثي ..... | 57 |
| المبحث الثاني :نمط المعيشة ..... | 65 |
| وظيفة المسجد ..... | 77 |
| الخاتمة ..... | 82 |
| المصادر والمراجع ..... | 85 |
| فهرس الموضوعات ..... | 90 |